

حَدِيثُ رَسْمِ الْبِلَاغَةِ

تأليف

محمد وائل (ت ١٣٣٩ هـ)
مُصَنَّفُ ظَهْرِي خُصُومَ (ت ١٣٥٤ هـ)

حَفِيفِي نَاصِف (ت ١٣٣٨ هـ)
سُلْطَانِ مُحَمَّد

عُثَيْبِيهِ
أحمد السوسي أحمد
كلية اللغة العربية
جامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

دار ابن خزيمة

كَلَامُ رُسُلِ الْبَلَاغَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دُرُوسُ الْإِسْلَامِ

تأليف

حَفِيفِي نَاصِف (ت ١٣٣٨ هـ) مُحَمَّدُ وَهَّاب (ت ١٣٢٩ هـ)
سُلْطَانِ مُحَمَّد مُصْطَفَى ظَهْوَى (ت ١٣٥٤ هـ)

عُفِّي بِهِ
أحمد السنوسي أحمد

كلية اللغة العربية
لجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



ISBN 978-614-416-279-8

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل على عبده الكتاب
بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق
أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن علم العربية علم شريف القدر، عظيم
المنزلة بين علوم الشرع؛ ذلك أنه الأس الذي ينبنى عليه
فهم بقية العلوم، وهو الوسيلة لفهم معاني كلام الله وكلام
رسوله ﷺ.

ومن علوم العربية التي لا بد أن يأخذ طالب العلم
منها حظّه، وينال منها نصيبه، وتكون له فيها قدم راسخة،
علمُ البلاغة الذي هو روح علم النحو وسِرُّ ما فيه من
الظواهر النحوية، وبفهمه يدرك المرء ما في القرآن الكريم
من الأسرار البلاغية.

ولأهمية هذا العلم وتعلقه بكتاب الله عز وجل وسنة
رسوله ﷺ عني به العلماء قديماً وحديثاً، فآلفوا فيه مؤلفات

كثيرة ما بين منظوم ومنثور، ومطول ومختصر، حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه الساحة العلمية في كل عصر ومُصرٍ، مراعين في ذلك أحوال مَنْ حولهم من طلبة العلم والتلامذة.

ومن الكتب المختصرة التي صُنفت في هذا العلم كتاب (دروس البلاغة) الذي ألفه أربعة من علماء مصر في القرن الماضي، وهم: حفني ناصف^(١)، ومحمد دياب^(٢)، وسلطان محمد^(٣)، ومصطفى طموم^(٤)، رحمهم الله أجمعين،

(١) حفني أو محمد حفني بن إسماعيل ابن خليل بن ناصف: قاض أديب، له شعر جيد، ولد بمصر سنة: (١٢٧٢هـ ١٨٥٦م)، وتعلم في الأزهر، وتقلب في مناصب التعليم، ثم في مناصب القضاء، وعين أخيراً مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية، كما شارك في إنشاء المجمع اللغوي الأول، له تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، واشترك في تأليف كتاب (الدروس النحوية)، توفي بالقاهرة سنة: (١٣٣٨هـ ١٩١٩م)، ينظر: الأعلام للزركلي: (٢/٢٦٥)، ومعجم المؤلفين: (١/٦٤٩).

(٢) محمد دياب بك ابن إسماعيل بن درويش الشافعي المنوفي باحث، من رجال العلم والتعليم بمصر، ولد في منوف سنة: (١٢٦٩هـ ١٨٥٢م)، وتعلم في الأزهر ودار العلوم. واختير معلماً فمفتشاً في ديوان المعارف، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي بالقاهرة، له تأليف، منها: تاريخ آداب اللغة العربية، ومعجم الألفاظ الحديثة، والإنشاء النظري، توفي سنة: (١٣٣٩هـ ١٩٢١م)، ينظر: الأعلام: (٦/١٢٣.١٢٢)، ومعجم المؤلفين: (٣/٢٨٨).

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) مصطفى طموم المالكي: فاضل مصري، كان مدرس العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة، له من المؤلفات: سراج الكتبة شرح تحفة الأحبة في علم رسم الحروف، وهو أحد مؤلفي: الدروس النحوية للمدارس الابتدائية، توفي سنة: (١٣٥٤هـ ١٩٣٥م) ينظر: الأعلام: (٧/٢٣٦)، ومعجم المؤلفين: (٣/٨٦٩).

وأجزل لهم الأجر والثواب على ما قاموا به من تأليف هذا الكتاب، المفيد لطلاب علم العربية.

وهو من الكُتُب المَدْرَسِيَّة التي يحتاج إليها طلاب العلم في هذا الزمان؛ حيث حوى علوم البلاغة الثلاثة، وعني فيه مؤلفوه بالإيجاز في التعبير عن المقصود، مع العناية بتعريف المصطلحات البلاغية، واستيعاب التقسيم للمسائل مع ذكر الأمثلة التي تتضح بها القواعد البلاغية، والإكثار من الاستشهاد بالآيات القرآنية، والشواهد الشعرية، مما يجعله كتاباً تطبيقياً يمرن الطالب على التذوق البلاغي، بعيداً عن التعقيد المنطقي المجرد، وذكر ما لا تمس إليه الحاجة.

وقد أثنى عليه مؤلفوه ثناء عطراً يدل على أهميته، كما هو مذكور في مقدمة الكتاب للمؤلفين.

كما أثنى عليه وعلى مؤلفيه الشارح أبو الأفضال محمد فضل الرامفوري أحد علماء الهند، الذي شرح هذا الكتاب شرحاً سماه (شموس البراعة) فقد قال في مقدمة شرحه: «لما رأيت كتاب دروس البلاغة الذي ألفه جماعة من الذين لهم اليد الطولى في العلوم جلها، ولا سيما العلوم العربية، والفنون الأدبية؛ لتعليم طلبة العلم في الجامع الأزهر الواقع

بمصر، نظرت بعين التأمل فيه، فوجدته حاوياً مع اختصاره لما حواه مطولات فن البلاغة، من الأصول والقواعد، وخالياً مع كثرة مسائله من المناقشات والزوائد، وواقعاً على ترتيب حسن لم يعهد في كتب المتأخرين، كما يعرفه من طال نظره في كتب المتقدمين، ولذا اشتهر اشتهار الشمس في نصف النهار، وطارت به القبول والدُّبور إلى الأقطار، وجعله أولو العلم والبصيرة، من الكتب التي تقرر دراستها في أكثر مدارس الهند من علم البلاغة»^(١).

ومما يجدر التنبيه إليه أن الكتاب قد خالف فيه مؤلفوه ما درج عليه علماء البلاغة المتأخرون، في حصر أبواب علم المعاني وترتيبها واعتبار وجه تقسيمها تبعاً للخطيب القزويني - رَحِمَهُ اللهُ - في التلخيص. حيث إن المعهود لدى المتأخرين الذين ساروا على نسق الخطيب في توالي فهم البلاغة اعتبار أجزاء الكلام المطابق، فيقسمون أبواب علم المعاني باعتبار أجزاء الجملة من المسند إليه والمسند ومتعلقات المسند إن كان فعلاً أو ما في معناه، ففي باب المسند إليه مثلاً يستوفون الحديث عما يعرض للمسند إليه من أحوال وصفات تتعاقب عليه

(١) شمس البراعة ص: (ب).

باختلاف الدواعي البلاغية، كالتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وغير ذلك من الأحوال التي يقتضيها المقام، ثم يتحدثون عن المسند كذلك، ثم متعلقات الفعل وما يعرض لها من تقديم وتأخير وذكر وحذف.

أما هذا المتن فقد جاء تقسيم الأبواب فيه مبنياً على النظر إلى المقتضيات ذاتها التي هي الأحوال العارضة دون معروضاتها التي هي أجزاء الجملة، فباب الذكر والحذف مثلاً، فيه الحديث عن دواعي الذكر والحذف ومقتضياتهما على وجه العموم بقطع النظر عن المحذوف هل هو: المسند أو المسند إليه أو أحد متعلقات الفعل، وهكذا باب التعريف والتنكير، وباب التقديم والتأخير، وباب الإطلاق والتقييد، فيتحدث المصنفون في هذه الأبواب عن دواعيها البلاغية دون تعيين ما تعرض له من الألفاظ.

فينبغي لمن يشرح هذا المتن لطلاب العلم أن ينبههم لهذا الأمر حتى لا يلتبس الأمر على المبتدئين في هذا الفن. ولَمَّا كان هذا المتن بهذه المنزلة العالية، ولم أقف له على نسخة كاملة بأيدي طلبة العلم؛ عزمت على إخراجه ليفيد منه طلاب العلم.

النسخ المعتمدة في الإخراج:

اعتمدت في إخراج الكتاب على مطبوعتين كاملتين.

الأولى: طبعة بولاق بمصر سنة (١٣١٧هـ - ١٨٩٩م).
ورمزت لها بالحرف (ب).

الثانية: طبعت في باكستان بأعلى الشرح الذي وضعه
الشيخ محمد فضل الرامفوري. ورمزت لها بالحرف (أ).

وهاتان المطبوعتان جيدتان، متطابقتان إلا في مواضع
يسيرة، نبهت على التخالف بينهما في الحاشية.

وهناك مطبوعة أخرى للكتاب طبعت بمكتبة الآداب
بمصر، وهذه النسخة فيها من النقص ما يجعل الناظر
يحكم عليها بأنها ليست هي الكتاب الأصل، وإنما هي
أشبه باختصار للكتاب الأصل؛ إذ فيها من الحذف شيء
كثير يظهر للناظر فيها بأدنى تأمل، فقد حُذِفَ منها مباحث
ومسائل بأكملها، منها الخاتمة في الخروج عن مقتضى
الظاهر، ومنها كثير من المحسنات البديعية، إلى آخر ما
لا أستطيع ذكره في هذه العجالة، ولذلك ضربت عنها
صفحة.

عملي في إخراج الكتاب:

أ - اعتمدت في إخراج الكتاب على الطبعة: المصرية
البولاقية، والطبعة الباكستانية.

ب - سلكت منهج النص المختار وإخراج النص باختيار
الصواب من الطبعتين أو الأصوب منهما، وأشرت في
الحاشية إلى الاختلاف الواقع بين الطبعتين.

ج - ضبطت المشكل من الكلمات والأبيات الشعرية حسب
الإمكان، كما وثقت الآيات القرآنية.

د - هناك تعليقات للمؤلفين في هوامش المطبوعتين،
وضعتها في مواضعها مميّزاً لها عما سواها بقولي في
آخر كل تعليق (المؤلفون).

وها أنا أقدمه لطلاب العلم بهذه الحلة راجياً من الله
سبحانه وتعالى أن ينفع به طلاب العلم وأن يجعل ذلك
ذخراً لي يوم ألقاه إنه سميع مجيب.

أحمد السنوسي أحمد

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية / كلية اللغة العربية

ahsanoosi@gmail.com

[مقدمة المؤلفين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قَصُرَتْ عبارة البلغاء عن الإحاطة بمعاني آياته، وَعَجَزَتْ أَلْسُنُ الْفُصَحَاءِ عن بيان بدائع مصنوعاتِهِ. والصلاة والسلام على من ملك طرفي البلاغة إِظْنَاباً وإيجازاً، وعلى آله وأصحابه الفاتحين بهديهم إلى الحقيقة مجازاً.

وبعدُ: فهذا كتاب في فنون البلاغة الثلاثة، سهل المنال، قريب المأخذ، بريء من وصمة التطويل الْمُمل، وعيب الاختصار الْمُخِل، سلطنا في تأليفه أسهل التراتيب، وأوضح الأساليب، وجمعنا فيه خلاصة قواعد البلاغة، وأمّهات مسائلها، وتركنا ما لا تمس إليه حاجة التلامذة من الفوائد الزوائد، وقوفاً عند حد اللازم، وحرصاً على أوقاتهم أن تضيع في حلٍّ مُعَقَّدٍ، أو تلخيصٍ مُطَوَّلٍ، أو تكميلٍ مختصرٍ، فتم به مع كتب الدروس النحوية سُلْمُ الدراسة العربية في المدارس الابتدائية، والتجهيزية.

والفضل في ذلك كله للأمرين الكبيرين نبلاً،
والإنسانين الكاملين فضلاً، ناظر المعارف، المتجافي عن
مهاد الراحة، في خدمة البلاد الواقف في منفعتها على قدم
الاستعداد، (صاحب العطوفة محمد زكي باشا)، ووكيلها ذي
الأيادي البيضاء في تقدم المعارف نحو الصراط المستقيم،
وإدارة شؤونها على المحور القويم (صاحب السعادة يعقوب
أرتين باشا)، فهما اللذان أشارا علينا بوضع هذا النظام
المفيد، وسلوك سبيل هذا الوضع الجديد، تحقيقاً لرغائب
أمير البلاد، ووليّ أمرها الناشئ في مهاد المعارف، العارف
بقدرها، مجدد شهرة الديار المصرية، ومعيد شبيبة الدولة
المحمدية العلوية، (مولانا الأفخم عباس حلمي باشا
الثاني)، أدام الله سعود أمته، وأقر به عيون آله ورجاله،
وسائر رعيته آمين.

حفني ناصف ❖ محمد دياب ❖ سلطان محمد ❖ مصطفى طوموم

علوم الباطنة

مقدمة

في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة في اللغة [تنبئ عن] ^(١) البيان والظهور، يقال:
أفصح الصبي في منطقه إذا بان وظهر كلامه.

وتقع في الاصطلاح وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم.

١- فصاحة الكلمة: سلامتها من تنافر الحروف،
ومخالفة القياس، والغرابة .

فتنافر الحروف: وصف في الكلمة يُوجب ثقلها على
اللسان وعُسْر النطق بها، نحو الظش للموضع الخشن،
والهُعُخُع، لنبات ترعاه الإبل، والنُّقَاخ للماء العذب
الصافي، والمُسْتَشْزِر للمفتول.

ومخالفة القياس: كون الكلمة غير جارية على القانون
الصرفي، كجمع بوقٍ على بوقاتٍ في قول المتنبي.

(١) ساقطة من (ب).

فإن يك بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ
ففي الناسِ بُوقَاتُ لها وطُبُولُ
إذ القياس في جمعه [للقلة]^(١): أبواق.
وكمؤددة في قوله:

إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامِ زَهْدُهُ
مَا لِي فِي صَدُورِهِمْ مِنْ مَّوَدَّةٍ
والقياس مَوَدَّةٌ بالإدغام.

والغربة: كونُ الكلمة غيرَ ظاهرة المعنى، نحو: تَكَاكُأُ،
بمعنى: اجتمع، وأُفْرَنْقَعَ بمعنى: انصرف، وأُظْلَحِمَّ بمعنى:
اشتد.

٢ - وفصاحة الكلام: سلامته من تنافر الكلمات مجتمعة،
ومن ضعف التأليف، ومن التعقيد، مع فصاحة كلماته.
فالتنافر: وصف في الكلام يوجب ثقله على اللسان،
وعُسْرَ النطق به، نحو:

فِي رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلُكَ يَشْرَعُ

.....

(١) ساقطة من (ب).

.....

وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى
مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدِي.

وضعفُ التأليف: كون الكلام غير جارٍ على القانون
النحوي المشهور^(١)، كالإضمار قبل الذكر لفظاً ورتبةً، في
قوله:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانِ عَنْ كَبَرٍ
وَحُسْنٍ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَارُ
والتعقيد: أن يكون الكلام خفيّ الدلالة على المعنى
المراد.

والخفاء إما من جهة اللفظ بسبب تقديم أو تأخير، أو
فصل، ويسمى تعقيداً لفظياً، كقول المتنبي:

جَفَخْتُ وَهَمٌ لَا يَخْفَخُونَ بِهَا بِهِم
شِيَمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ

(١) فضعف التأليف ينشأ من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر، فإن خالف تأليف الكلام القانون المجمع عليه كجر الفاعل، ورفع المفعول، وتقديم المسند المحصور فيه وإنما ففاسد غير معتبر، والكلام في تركيب له صحة واعتبار. (المؤلفون).

فإن تقديره: جَفَخْتُ بهم شَيْمٌ دلائلٌ على الحسب الأغرّ
وهم لا يجفخون بها.

وإما من جهة المعنى بسبب استعمال مجازات وكنيات
لا يفهم المراد بها، ويسمى تعقيداً معنوياً، نحو قولك: نشر
الملك ألسنته في المدينة، مريداً جواسيسه، والصواب: نشر
عيونه، وقوله:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا

وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا

حيث كُنِيَ بالجمود عن السرور مع أن الجمود يُكْنَى به
عن البخل وقت البكاء.

٣ - وفصاحة المتكلم: مَلَكة يقتدر بها على التعبير عن
المقصود بكلام فصيح، في أي غرض كان.

والبلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان
مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها.
وتقع في الاصطلاح وصفاً للكلام والمتكلم.

فبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.

والحال - ويسمى بالمقام - هو: الأمر الحامل للمتكلم
على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة .

والمقتضى - ويسمى الاعتبار المناسب - هو: الصورة
المخصصة، التي تورد عليها العبارة .

مثلاً المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة
الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة
الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال، وكل من الإطناب
والإيجاز مقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب،
والإيجاز مطابقة للمقتضى .

وبلاغة المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن
المقصود بكلام بليغ في أي غرض كان .

- ويعرف التنافر بالذوق.
- ومخالفة القياس بالصرف.
- وضعف التأليف والتعقيد اللفظي بالنحو.
- والغرابة بكثرة الاطلاع على كلام العرب.
- والتعقيد المعنوي بالبيان.
- والأحوال ومقتضياتها بالمعاني.

فوجب على طالب البلاغة معرفة اللغة، والصرف،
والنحو، والمعاني، والبيان مع كونه سليم الذوق، كثير
الاطلاع على كلام العرب.

علم المعاني

علم المعاني: هو: [علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال .

فتختلف صور الكلام لاختلاف الأحوال] ^(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإن ما قبل (أم) صورة من الكلام تخالف صورة ما بعدها؛ لأن الأولى فيها فعل الإرادة مبني للمجهول، والثانية فيها فعل الإرادة مبني للمعلوم، والحال الداعي لذلك نسبة الخير إليه سبحانه في الثانية، ومنع نسبة الشر إليه في الأولى.

وينحصر الكلام على هذا العلم في ثمانية أبواب، وخاتمة.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب)، وكتب بدلاً منه: (هو علم يبين اختلاف صور الكلام لاختلاف الأحوال).

الباب الأول

في الخبر والإنشاء

كل كلام فهو إما خبر، أو إنشاء.

والخبر: ما يصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب، كسافر محمد، وعليّ مقيم.

والإنشاء: ما لا يصح أن يقال لقائله ذلك، كسافر يا محمد، وأقم يا عليّ.

والمراد بصدق الخبر: مطابقته للواقع، وبكذبه: عدم مطابقته له.

فجملة عليّ مقيم، إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقة لما في الخارج، فصدق، وإلا فكذب.

ولكل جملة ركنان: محكوم عليه، ومحكوم به، ويسمى الأول مسنداً إليه، كالفاعل، ونائبه، والمبتدأ الذي له خبر، ويسمى الثاني مسنداً، كالفعل، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه.

الكلام على الخبر:

الخبر إما أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

فالأولى موضوعة لإفادة الحدوث في زمن مخصوص،
مع الاختصار، وقد تفيد الاستمرار التجديي بالقرائن إذا كان
الفعل مضارعاً كقول طريف:

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَازَ قَبِيلَةٍ

بعثوا إلي عريفهم يتوسم

والثانية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه،
نحو: الشمس مضيئة، وقد تفيد الاستمرار بالقرائن إذا لم
يكن في خبرها فعل، نحو: العلم نافع.

والأصل في الخبر أن يُلْقَى لإفادة المخاطب الحكم
الذي تضمنته^(١) الجملة كما في قولنا: حضر الأمير، أو
لإفادة أن المتكلم عالم به، نحو: أنت حضرت أمس.

ويسمى الحكم فائدة الخبر، وكون المتكلم عالماً به
لازم الفائدة.

وقد يُلْقَى الخبر لأغراض أخرى:

(١) في (أ) تضمنه.

- ١ - كالاسترحام في قول موسى - ﷺ -: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القَصَص: ٢٤].
 - ٢ - وإظهار الضعف، في قول زكريا - عليه السلام -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مَرِيَم: ٤].
 - ٣ - وإظهار التحسر في قول امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣٦].
 - ٤ - وإظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر في قولك: (جاء الحق وزهق الباطل).
 - ٥ - وإظهار السرور في قولك: (أخذت جائزة التقدم) لمن يعلم ذلك.
 - ٦ - والتوبيخ في قولك للعائر: (الشمس طالعة).
- أَضْرِبُ الْخَبْرَ:

حيث كان قصدُ المخبر بخبره إفادةَ المخاطب ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر الحاجة حذراً من اللغو. فإن كان المخاطب خاليَ الذهن من الحكم أُلْقِيَ إليه الخبرُ مجرداً عن التأكيد، نحو: أخوك قادم. وإن كان متردداً فيه طالباً لمعرفته حَسُنَ توكيده، نحو إن أخاك قادم.

وإن كان منكرًا [له] ^(١) وجب توكيده بمؤكّد، أو مؤكّدين، أو أكثر حسب درجة الإنكار، نحو: (إن أخاك قادم)، أو (إنه لقادم)، أو (والله إنه لقادم).

فالخبر بالنسبة لخلوّه من التوكيد، واشتماله عليه ثلاثة أضرب، كما رأيت، ويُسمّى الضرب الأول ابتدائياً، والثاني طلبياً، والثالث إنكارياً.

ويكون التوكيد بأنّ وأنّ ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونوني التوكيد، والحروف الزائدة، والتكرير، وقد، وأمّا الشرطية.

الكلام على الإنشاء:

الإنشاء إمّا طلبيّ، أو غير طلبيّ .

فالطلبّي ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

وغير الطلبيّ ما ليس كذلك.

والأول يكون بخمسة أشياء، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

(١) ساقطة من (أ).

أما الأمرُ فهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

وله أربعُ صيغٍ: فعلُ الأمر، نحو: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، والمضارعُ المقرون باللام، نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، واسم فعل الأمر نحو: حي على الفلاح، والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سعيًا في الخير.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ آخر تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال،

١ - كالدعاء، نحو: ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩] .

٢ - والالتماس، كقولك لمن يساويك: أعطني الكتاب.

٣ - والتمني، نحو:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي

بُصْبُحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ

٤ - والإرشاد، نحو: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى

فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٥ - والتهديد، نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

٦ - والتعجيز، نحو:

يَا بَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُتَيْباً

يَا بَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ

٧ - والإهانة، نحو: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ [الإسراء: ٥٠]

٨ - والإباحة، نحو: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الطور: ١٩].

٩ - والامتنان، نحو: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

١٠ - والتخيير، نحو: خذ هذا أو ذاك.

١١ - والتسوية، نحو: ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦]

١٢ - والإكرام، نحو: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]^(١).

وأما النهي فهو: طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء.

وله صيغة واحدة، وهي المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقد تخرج صيغته عن معناها الأصلي إلى معانٍ أُخَرَ تُفْهَمُ من المقام والسياق:

١ - كالدعاء، نحو: لا تشمت بي الأعداء.

(١) في (أ): كتبت الآية هكذا: (وادخلوها بسلام آمنين)، وهي ليست بالواو.

٢ - والالتماس، كقولك لمن يساويك: لا تبرح من مكانك حتى أرجع إليك.

٣ - والتمني، نحو: (لا تطلع) في قوله:

يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُلْ

يا ضُبْحُ قِفْ لا تَطْلُعْ

٤ - [والإرشاد: نحو: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ سَأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] ^(١).

٥ - والتهديد، كقولك لخدمك: لا تطع أمري.

٦ - [والتيئيس نحو: ﴿لَا نَعْذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحریم: ٧].

٧ - وبيان العاقبة، نحو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ^(٢).

وأما الاستفهام فهو طلب العلم بشيء.

وأدواته: الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

١ - فالهمزة لطلب التصور أو التصديق.

والتصور هو إدراك المفرد، كقولك: أعليّ مسافرٌ أم خالداً؟، تعتقد أن السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه، ولذا يجاب بالتعيين، فيقال: عليّ مثلاً.

والتصديق هو إدراك النسبة، نحو: أسافرَ عليّ؟، تستفهم عن حصول السفر وعدمه، ولذا يجاب بنعم، أو لا.

والمسؤول عنه في التصور ما يلي الهمزة، ويكون له معادل يذكر بعد (أم) وتسمى متصلةً، فتقول: في الاستفهام عن المسند إليه: أنت فعلت هذا أم يوسف؟، وعن المسند: أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟.

وعن المفعول: أيايَ تقصد أم خالداً؟.

وعن الحال: أراكباً جئت أم ماشياً؟.

وعن الظرف: أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة؟.

وهكذا، وقد لا يذكر المعادل، نحو: أنت فعلت هذا؟، أراغب أنت عن الأمر؟، أيايَ تقصد؟، أراكباً جئت؟، أيوم الخميس قدمت؟.

والمسؤول عنه في التصديق النسبة، ولا يكون لها معادل، فإن جاءت أم بعدها قُدِّرَتْ منقطعةً، وتكون بمعنى بل.

٢ - وهل لطلب التصديق فقط، نحو: هل جاء صديقك؟، والجواب: نعم أو لا، ولذا يمتنع معها ذكرُ المُعادل، فلا يقال: هل جاء صديقك أم عدوك.

وهل تُسمَّى بسيطةً، إن اسْتُفْهِمَ بها عن وجود شيء في نفسه، نحو: هل العنقاء موجودة؟، ومركبةً إن اسْتُفْهِمَ بها عن وجود شيء لشيء، نحو: هل تبيض العنقاء وتفرخ؟.

٣ - وما يُطلَبُ بها شرحُ الاسم، نحو: ما العسجد أو اللجين؟، أو حقيقة المسمى، نحو: ما الإنسان؟، أو حالِ المذكور معها، كقولك لقادم عليك: ما أنت؟.

٤ - ومن يطلب بها تعيينُ العقلاء، كقولك: من فتح مصر؟.

٥ - ومتى يطلب بها تعيينُ الزمان، ماضياً كان أو مستقبلاً، نحو: متى جئت؟، ومتى تذهب؟.

٦ - وأيان يطلب بها تعيينُ الزمان المستقبل خاصةً، وتكون في موضع التهويل كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾

[القيامة: ٦]

- ٧ - وكيف يطلب بها تعيينُ الحال، نحو: كيف أنت؟.
- ٨ - وأين يطلب بها تعيينُ المكان، نحو: أين تذهب؟.
- ٩ - وأنى تكون بمعنى كيف، نحو: ﴿أَنَّى يُخَيِّ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]
- وبمعنى من أين، نحو: ﴿يَكْمَرُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧].
- وبمعنى متى، نحو: زر أنى شئت؟.
- ١٠ - وكم يطلب بها تعيينُ عدد مبهم نحو: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].
- ١١ - وأيُّ يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمرٍ يعمهما، نحو: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، ويسأل بها عن الزمان والمكان، والحال، والعدد، والعاقلة، وغيره، حسب ما تضاف إليه.
- وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي لمعان أخر^(١) تفهم من سياق الكلام:
- ١ - كالتسوية، نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

(١) في (ب) أخرى.

- ٢ - والنفي، نحو: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٠].
- ٣ - والإنكار، نحو: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].
- ٤ - والأمر، نحو ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] بمعنى^(١): انتهوا، وأسلموا.
- ٥ - والنهي، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣].
- ٦ - والتشويق، نحو: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرٍ يُغْفِرُ لَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصَّف: ١٠].
- ٧ - والتعظيم، نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- ٨ - والتحقير، نحو: أهذا الذي مدحته كثيراً.
- ٩ - والتهكم، نحو: أعقلك يسوِّغ لك أن تفعل كذا.
- ١٠ - والتعجب، نحو: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].
- ١١ - والتنبيه على الضلال، نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].
- ١٢ - والوعيد، نحو: أتفعل كذا^(٢) وقد أحسنت إليك.

(١) في (ب) أي: بدل: بمعنى

(٢) في (ب) أتفعل ذلك.

وأما التمني فهو طلب شيء محبوب، لا يرجى حصوله؛
لكونه مستحيلاً، أو بعيد الوقوع، كقوله:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا
فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

وقول المعسر: لَيْتَ لِي أَلْفَ دِينَارٍ.

وإذا كان الأمر متوقع الحصول فإن ترقُّبه يسمى ترجياً،
ويعبر عنه بعسى أو لعل، نحو: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ
أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وللتمني أربع أدوات، واحدة أصلية، وهي لَيْتَ، وثلاثة
غير أصلية، وهي: هَلْ، نَحْوُ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا
لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣]، وَلَوْ، نَحْوُ: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٠٢]، وَلَعَلَّ، نحو قوله:

أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ
لِعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

ولا استعمال هذه الأدوات في التمني يُنصب المضارع
الواقع في جوابها.

وأما النداء فهو: طلب الإقبال بحرفٍ نائبٍ منابٍ أدعو .

وأدواته ثمانية: يا، والهمزة، وأي، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا.

فالهمزة وأي للقريب، وغيرهما للبعيد.

وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى بالهمزة، وأي إشارة إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه، كقول الشاعر:

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا

بِأَنَّكُمْ فِي رُبْعِ قَلْبِي سَكَّانُ

وقد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بأحد الحروف الموضوع له إشارة إلى أن المنادى عظيم الشأن رفيع المرتبة، حتى كأنَّ بُعدَ درجته في العِظَم عن درجة المتكلم بُعدٌ في المسافة، كقولك: أيا مولاي، وأنت معه.

أو إشارة إلى انحطاط درجته كقولك: أيا هذا لمن هو معك.

أو إشارة إلى أن السامع غافلٌ لنحو نوم، أو ذهول، كأنه غير حاضر في المجلس، كقولك للساهي: أيا فلان.
وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي لمعانٍ أُخَرَ تُفْهَم من القرائن:

١ - كالإغراء، نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم.

٢ - والزجر، نحو:

أَفْوَادِي مَتَى الْمَتَابُ أَلَمَّا
تَضَحُّ وَالشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي أَلَمَّا

٣ - والتحير والتضجر، نحو:

أَيَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَاكِ

.....

ويكثرُ هذا في نداء الأطلال والمطايا، ونحوها.

٤ - والتحسر والتوجع، كقوله:

أَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَايْتِ جُودُهُ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُثْرَعَا

٥ - والتذكّر، نحو:

أَيَا مَنَزَلِي سَلَمَى سَلَامٌ عَلَيْكُمَا
هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

وغيرُ الطلبيّ يكونُ بالتعجب، والقسم، وصيغِ العقود،
كعبت واشتريت، ويكونُ بغير ذلك.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم
المعاني، فلذا ضَرَبْنَا صَفْحاً عنها.

الباب الثاني في الذكر والحذف

إذا أريد إفادة السامع حكماً فأَيُّ لفظ يدل على معنى فيه
فالأصلُ ذِكْرُه، وأَيُّ لفظ علم من الكلام؛ لدلالة باقيه عليه
فالأصل حذفه.

وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يُعَدَل عن مقتضى
أحدهما إلى مقتضى الآخر إلا لداعٍ.

فمن دواعي الذكر:

١ - زيادة التقرير والإيضاح، نحو: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ٥].

٢ - وقلة الثقة بالقرينة؛ لضعفها، أو ضعف فهم السامع،
نحو: زيد نعم الصديق، تقول ذلك إذا سبق لك ذكر
زيد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام في شأن
غيره.

٣ - والتعريضُ بغبَاوة السامع، نحو: عمرو قال كذا في

جواب: ما ذا قال عمرو؟.

٤ - والتسجيلُ على السامع، حتى لا يتأتى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقر زيد هذا بأن عليه كذا، فيقول الشاهد: نعم زيد هذا أقر بأن عليه كذا.

٥ - والتَّعَجُّبُ إذا كان الحكم غريباً، نحو: عليّ يقاوم الأسد، تقول ذلك مع سبق ذكره.

٦ - والتعظيمُ والإهانةُ إذا كان اللفظ يفيد ذلك، كأن يسألك سائل: هل رجع القائد؟، فتقول: رجع المنصور أو المهزوم.

ومن دواعي الحذف:

١ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو: أقبل - تريد علياً مثلاً -.

٢ - وتأتي الإنكار عند الحاجة، نحو: لئيمٌ خسيسٌ، بعد ذكر شخص مُعَيَّن.

٣ - والتنبيهُ على تعيُّن^(١) المحذوف ولو ادعاءً، نحو: خالقُ كل شيء، ووهابُ الألف.

(١) في (أ): تعيين.

٤ - واختبارُ تنبيه السامع أو مقدارِ تنبيهه، نحو: نوره مستفادٌ من نور الشمس، وواسطةُ عقدِ الكواكب.

٥ - وضيقُ المقام، إما لتوقع، نحو:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ

سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

وإمّا لخوف فوات فرصة، نحو قول الصيَّاد: غزالٌ.

٦ - والتعظيمُ والتحقيقُ؛ لصونه عن لسانك، أو صون

لسانك عنه، فالأول نحو: نجومُ سماء، والثاني نحو: قومٌ إذا أَكَلُوا أَخَفَوْا حَدِيثَهُمْ.

٧ - والمحافظةُ على وزن أو سجع.

فالأول نحو:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَ

ذَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

والثاني نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].

٨ - والتعميمُ باختصار، نحو: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾

[يونس: ٢٥].

أي: جميعَ عبادِه؛ لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم.

٩ - والأدبُ، نحو: قول الشاعر:

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي الشَّـ

سُودَدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا

١٠ - وتنزيلُ المتعدي منزلة اللازم؛ لعدم تعلق الغرض

بالمعمول، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الزُّمَر: ٩].

ويُعدُّ من الحذف إسنادُ الفعل إلى نائب الفاعل، فيقال:

حُذِفَ الْفَاعِلُ؛ للخوف منه، أو عليه، أو للعلم به، أو الجهل،

نحو: سُرِقَ المتاع، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النَّشَاء: ٢٨].



الباب الثالث في التقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعةً واحدة، بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقدم من الآخر^(١)؛ لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار، فلا بد لتقديم^(٢) هذا على ذاك من داع يوجبه. فمن الدواعي:

١ - التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مُشعراً بغرابة، نحو:

والذي حَارَتِ البريةُ فيه

حيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

٢ - وتعجيلُ المسرة أو المساءة، نحو: العفوُ عنك صدر به الأمر، أو القصاصُ حكم به القاضي.

(١) هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة، كالألفاظ الشرط والألفاظ الاستفهام، اهـ، الأصل.

(٢) في (أ): (فلا بد من تقديم هذا...) بمن بدل اللام.

٣ - وكون المتقدم محط الإنكار والتعجب، نحو: أَبْعَدَ طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف؟.

٤ - وسلوك سبيل الترقى، أي الإتيان بالعام أولاً، ثم الخاص بعده؛ لأن العام إذا ذُكر بعد الخاص لا يكون له فائدة، نحو: هذا الكلام صحيح فصيح بليغ، فإذا قلت: فصيح بليغ، لا تحتاج إلى^(١) ذكر صحيح، وإذا قلت: بليغ لا تحتاج إلى ذكر صحيح ولا فصيح.

٥ - ومراعاة الترتيب الوجودي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٦ - والنص على عموم السلب، أو سلب العموم.

فالأول: يكون بتقديم أداة العموم على أداة النفي، نحو: (كلُّ ذلك لم يكن)^(٢)، أي: لم يقع هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: لم يكن كل ذلك، أي: لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كل فرد.

(١) في (ب): إلا بدل إلى.

(٢) جزء من حديث ذي اليدين المخرج في الصحيحين.

٧ - وتقوية الحكم إذا كان الخبر فعلاً، نحو: الهلال ظهر،
وذلك؛ لتكرار^(١) الإسناد.

٨ - والتخصيص، نحو: ما أنا قلت، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾
[الفاتحة: ٥].

٩ - والمحافظة على وزن أو سجع.

فالأول نحو:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ

فَخَيْرٌ مِنْ إِيَابَتِهِ السُّكُوتُ

والثاني نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي
سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

ولم يُذكر لكلٍّ من التقديم والتأخير دواعٍ خاصة؛ لأنه
إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان.



(١) في (أ) لتكرار.

الباب الرابع في التعريف والتنكير

إذا تعلّق الغرضُ بتفهم المخاطبِ ارتباطَ الكلامِ بمعيّنٍ
فالمقامُ للتعريف، وإذا لم يتعلّق الغرضُ بذلك فالمقام
للتنكير.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: من المعلوم أن المعارف:
الضميرُ، والعَلَمُ، واسمُ الإشارة، والاسمُ الموصولُ،
والمحلّي بآل، والمضاف لواحدٍ مما ذُكِرَ، والمنادى.
أما الضميرُ فيؤتّى به لكون المقام للتكلّم، أو الخطاب،
أو الغيبة مع الاختصار، نحو: أنا رجوتك في هذا الأمر،
وأنت وعدتني بإنجازه .

والأصل في الخطاب أن يكون لمشاهدٍ مُعيّن، وقد
يخاطبُ غيرُ المشاهد إذا كان مستحضراً في القلب، نحو:
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وغيرُ المعيّن إذا قُصِدَ تعميمُ
الخطاب لكل من يمكن خطابه، نحو: اللّئيم من إذا أحسنت
إليه أساء إليك.

وأما العَلَمُ فيؤتى به لإحضار معناه في ذهن السامع
باسمه الخاص، نحو: ﴿وَإِذَا يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد يُقصدُ به مع ذلك أغراضٌ أخرى:
كالتعظيم، في نحو: ركب سيف الدولة.
والإهانة في نحو: ذهب صخر.

والكناية عن معنى يصلح اللفظ له في نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَا
أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

وأما اسم الإشارة فيؤتى به إذا تعيّن طريقاً لإحضار
معناه كقولك: بعني هذا، مشيراً إلى شيء لا تعرف له
اسماً، ولا وصفاً، أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك فيكون
لأغراض أخرى:

١- كإظهار الاستغراب، نحو:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَغَيَتْ مَذَاهِبُهُ
وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً
وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النُّحْرِيرَ زَنْدِيقًا

٢- وكمالِ العناية به، نحو:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

٣- وبيانِ حاله في القرب والبعد، نحو: هذا يوسفُ، وذاك أخوه، وذلك غلامه.

٤- والتعظيم، نحو: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

٥- والتحقير، نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢].

وأما الموصولُ فيؤتى به إذا تعيَّن طريقاً لإحضار معناه، كقولك: الذي كان معنا أمسٍ سافر^(١)، إذا لم تكن تعرف اسمه، أما إذا لم يتعين طريقاً لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١ - كالتعليلِ نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

(١) في (أ) مسافر.

٢ - وإخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو:

وَأَخَذْتُ مَا جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ
وَقَضَيْتُ حَاجَاتِي كَمَا أَهْوَى

٣ - والتنبيه على الخطأ، نحو:

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ
يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضَرَّعُوا

٤ - وتفخيم شأن المحكوم به، نحو:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

٥ - والتهويل تعظيماً أو تحقيراً^(١)، نحو: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلَيمٍ
مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

ونحو: من لم يدر حقيقة الحال قال ما قال.

٦ - والتهكم، نحو: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وأما المَحَلَّى بِأَنْ فيؤتى به إذا كان الغرضُ الحكايةَ عن
الجنس نفسه، نحو: الإنسان حيوان ناطق، وتسمى أُلْ جنسيةً.

(١) في: (أ) وتحقيراً.

أو الحكاية عن معهود من أفراد الجنس، وعهده إما بتقدم ذكره، نحو: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذَا وَيْلًا﴾ [المُزَّمِّل: ١٥-١٦]، وإما بحضوره بذاته، نحو: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وإما بمعرفة السامع له، نحو: ﴿إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح: ١٨]، وتسمى أُلْ عهديَّة.

أو الحكاية عن جميع أفراد الجنس، نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، وتسمى أُلْ استغراقية، وقد يُرادُ بأُلْ الإشارةُ إلى الجنس في فردٍ ما نحو:

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْمِ يَسُبُّنِي
فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي

وإذا وقع المحلى بأُلْ خبراً أفاد القصر، نحو: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البُرُوج: ١٤].

وأما المضاف لمعرفة فيؤتى به إذا تعين طريقاً لإحضار معناه أيضاً، ككتاب سيبويه، وسفينة نوح، أما إذا لم يتعين لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١ - كتعذر التعداد^(١)، أو تعسره، نحو: أجمع أهل الحق

(١) في (ب) التعدد.

على كذا، وأهل البلد كرام.

٢ - والخروج من تبعة تقديم البعض على البعض، نحو:
حضر أمراء الجند.

٣ - والتعظيم للمضاف، نحو: كتاب السلطان [حضر]^(١)،
أو المضاف إليه، نحو: هذا خادمي، أو غيرهما،
نحو: أخو الوزير عندي.

٤ - والتحقيق للمضاف، نحو: [هذا]^(٢) ابن اللص، أو
المضاف إليه، نحو: اللص رفيق هذا، أو غيرهما،
نحو: أخو اللص عند عمرو.

٥ - والاختصار لضيق المقام، نحو:

هَوَايَ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضِعِدٌ
جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

بَدَلُ أَنْ يَقَالَ: الَّذِي أَهْوَاهُ.

وأما المنادى فيؤتى به إذا لم يُعَرَفْ للمخاطب عُنْوَانٌ
خاصٌّ، نحو: يا رجلُ، ويا فتى.

وقد يؤتى به للإشارة إلى علة ما يطلب منه، نحو: يا

(١) ساقطة من (ب).

(٢) ساقطة من (ب).

غلام أحضر الطعام، ويا خادماً أسرج الفرس، أو لغرض
يمكن اعتباره ههنا ^(١) مما ذكر في النداء.

وأما النكرة فيؤتى بها إذا لم يُعَلَمَ للمحكّي عنه جهةٌ
تعريف، كقولك: جاء ههنا ^(٢) رجلٌ إذا لم يُعَرَفْ ^(٣) ما يُعَيَّنُهُ
من عَلَمٍ أو صِلَةٍ، أو نحوهما، وقد يؤتى بها لأغراض
أخرى:

١ - كالتكثير والتقليل، نحو: لِفُلان مَالٌ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ
اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، أي: مال كثير، ورضوان قليل.

٢ - والتعظيم والتحقير، نحو:

لَهُ حَاجِبٌ عَن كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ

وَلَيْسَ لَهُ عَن طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

٣ - والعموم بعد النفي، نحو: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾ [المائدة:
١٩]، فإن النكرة في سياق النفي تعم.

٤ - وقصد فردٍ معين، أو نوعٍ كذلك، نحو: والله خلق كل
دابة من ماء.

(١) في (ب) هنا.

(٢) في (ب) هنا.

(٣) في (ب) تعرف.

٥ - وإخفاء الأمر، نحو: قال رجل: إنك انحرقت عن الصواب، تُخْفِي اسمَه حتى لا يلحقه أذى.



الباب الخامس في الإطلاق والتقييد

إذا اقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه
فالحكم مطلق، وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما، أو
بأحدهما فالحكم مقيد.

والإطلاق يكون حيث لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم
بوجه من الوجوه؛ ليذهب السامع فيه كلَّ مذهب ممكن.
والتقييد حيث يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، لو
لم يُرَاعَ تفوت الفائدة المطلوبة.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول:

إن التقييد يكون بالمفاعيل، ونحوها، والنواسخ،
والشرط، والنفي، والتوابع، وغير ذلك.

أما المفاعيل، ونحوها فالتقييد بها يكون لبيان نوع
الفعل، أو ما وقع عليه، أو فيه، أو لأجله، أو بمقارنته، أو
بيان المبهم من الهيئة، أو الذات^(١)، أو بيان عدم شمول

(١) في: (ب) والذات.

الحكم، وتكون القيود محطّ الفائدة، والكلام بدونها، كاذباً
أو غير مقصود بالذات، نحو: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا لِعَيْتٍ﴾ [الدخان: ٣٨].

وأما النواسخ فالتقييد بها يكون للأغراض التي تؤديها
معاني ألفاظ النواسخ كالاستمرار، أو الحكاية عن الزمن في
كان، والتوقيت بزمان معين في ظلّ، وبات، وأصبح،
وأمسى، وأضحى، أو بحالة معينة في دأَم، والمقاربة في
كاد، وكرب، وأوشك، واليقين في وجد، وألفى، ودرى،
وتعلم، وهلم جراً.

فالجمله في هذا تنعقد من الاسم والخبر، أو من
المفعولين فقط، فإذا قلت: ظننت زيداً قائماً، فمعناه: زيدٌ
قائمٌ على وجه الظن.

وأما الشرط فالتقييد به يكون للأغراض التي تؤديها معاني
أدوات الشرط كالزمان في متى، وأيان، والمكان في أين،
وأنى، وحيثما، والحال في كيفما، واستيفاء ذلك وتحقيق
الفرق بين الأدوات يذكر في علم النحو، وإنما يفرق ههنا^(١) بين
إن وإذا ولو؛ لاختصاصها بمزايا تعدّ من وجوه البلاغة.

(١) في: (ب) هنا.

فإن وإذا للشرط في الاستقبال، ولو للشرط في الماضي،
والأصل في اللفظ أن يتبع المعنى فيكون فعلاً مضارعاً، مع
إن وإذا وماضياً مع لو، نحو: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩].

.....

وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تُشنعُ

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

والفرق بين إن وإذا أن الأصل عدم الجزم بوقوع الشرط
مع إن، والجزم بوقوعه مع إذا، ولهذا غلب استعمال
الماضي مع إذا، فكأن الشرط واقع بالفعل، بخلاف إن.
فإذا قلت: إن أبرء من مرضي أتصدق بألف دينار كنت
شاكاً في البرء، وإذا قلت: إذا برئت من مرضي تصدقتُ
كنت جازماً به أو كالجازم.

وعلى ذلك فالأحوال النادرة تُذكر في حيز إن، والكثيرة
في حيز إذا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾
[الأعراف: ١٣١]، فلكون مجيء الحسنة محققاً - إذ^(١) المراد بها

(١) في (أ) إذا.

مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية - ذُكر مع إذا، وعُبر عنه بالماضي، ولكون مجيء السيئة نادراً - إذ المراد بها نوع مخصوص، كما يفهم من التنكير، وهو الجذب - ذُكر مع إن، وعُبر عنه بالمضارع، ففي الآية من وصفهم بإنكار النعم، وشدة التحامل على موسى عليه السلام ما لا يخفى.

ولو للشرط في المضي، ولذا يليها الفعل الماضي، نحو: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

ومما تقدم يعلم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب، فإذا قلت: إن اجتهد زيد أكرمه كنت مخبراً بأنك ستكرمه، ولكن في حال حصول الاجتهاد لا في عموم الأحوال، ويتفرع على هذا أنها تعد خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها.

وأما النفي فالتقييد به يكون بسلب النسبة على وجه مخصوص مما تفيده أحرف النفي، وهي ستة: لا، وما، وإن، ولن، ولم، ولما.

فلا للنفي مطلقاً^(١)، وما وإن لنفي الحال إن دخلا على المضارع، ولن لنفي الاستقبال.

(١) قال في المصباح: إذا دخلت لا على المستقبل عمت جميع الأزمنة إلا إذا خص بقيد، =

ولم ولما لنفي الماضي إلا أنه بلمّا ينسحب على زمن التكلم، ويختص بالمتوقع، وعلى هذا فلا يقال: لما يقيم زيد ثم قام، ولا: لما يجتمع النقيضان، كما يقال: لم يقيم^(١) ثم قام، ولم يجتمعا، فلمّا في النفي تقابل قد في الإثبات، وحينئذ يكون منفيها قريباً من الحال، فلا يصح: لما يجيء محمد في العام الماضي.

وأما التوابع فالتقييد بها يكون للأغراض التي تقصد منها.

فالنعت يكون للتمييز، نحو: حضر علي الكاتب، والكشف، نحو: الجسم الطويل العريض العميق يشغل حيزاً من الفراغ، والتأكيد، نحو: تلك عشرة كاملة، والمدح، نحو: حضر خالد الهمام، والذم، نحو: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، والترحم، نحو: أحسن إلى خالد^(٢) المسكين.

= وإذا دخلت على الماضي نحو: (والله لا قمت) قلبت معناه إلى الاستقبال، وصار المعنى: (والله لا أقوم)، وإذا أريد الماضي قيل: والله ما قمت، وقال بعض: إن لا إذا دخلت على النفي أفادت نفي الحال كما وإن، وقد اتبعنا ذلك في الكتاب الرابع. (المؤلفون). هذه الحاشية ساقطة من (أ).

(١) في (أ) لم يقيم زيد.

(٢) في (أ) ارحم إلى خالد.

وعطف البيان يكون لمجرد التوضيح، نحو:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ

.....

أو للتوضيح مع المدح، نحو: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

ويكفي في التوضيح، أن يوضح الثاني الأول عند
الاجتماع، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، كعلي زين
العابدين، والعسجد الذهب^(١).

وعطف النسق يكون للأغراض التي تؤديها أحرف
العطف، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، ومع التراخي في
ثم.

والبديل يكون لزيادة التقرير، والإيضاح، نحو: قدم ابني
علي في بدل الكل، وسافر الجند أغلبه في بدل البعض،
ونفعني الأستاذ علمه في بدل الاشتمال.



(١) في (ب) والعسجد أي الذهب.

الباب السادس

في القصر

القصر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وينقسم إلى حقيقي، وإضافي.

فالحقيقي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة، لا بحسب الإضافة إلى شيء آخر، نحو: لا كاتب في المدينة إلا عليّ، إذا لم يكن غيره فيها من الكتاب.

والإضافي ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين، نحو: ما عليّ إلا قائم، أي: أن له صفة القيام لا صفة القعود، وليس الغرض نفي جميع الصفات عنه ما عدا صفة القيام.

وكلُّ منهما ينقسم إلى قصر صفة على موصوف، نحو: لا فارس إلا عليّ، وقصر موصوف على صفة، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فيجوز عليه الموت.

والقصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام: قصر أفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة، وقصر قلب إذا اعتقد العكس، وقصر تعيين إذا اعتقد واحداً غير معين.

وللقصر طرق، منها: النفي والاستثناء، نحو: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٣١].

ومنها: إنما، نحو: إنما الفاهم عليّ.

ومنها العطف بلا، أو بل، أو لكن، نحو: أنا ناثرٌ لا ناظمٌ، وما أنا حاسبٌ بل كاتبٌ.

ومنها تقديم ما حقه التأخير، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الْفَاتِحَة: ٥].



الباب السابع

في الوصل والفصل

الوصل عطف جملة على أخرى، والفصل تركه.
والكلام ههنا قاصرٌ على العطف بالواو؛ لأن العطف
بغيرها لا يقع فيه اشتباه، ولكلٌّ من الوصل بها، والفصل
مواضع:

مواضع الوصل بالواو:

يجب الوصل في موضعين:

الأول: إذا اتفقت الجملتان خبراً أو إنشَاءً، وكان بينهما
جهة جامعة، أي: مناسبة، تامة، ولم يكن مانع من العطف،
نحو: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:
١٣-١٤]، ونحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢].

الثاني: إذا أُوهم ترك العطف خلاف المقصود، كما إذا
قلت: لا وشفاه الله جواباً لمن يسألك: هل برئ علي من
المرض، فترك الواو يوهم الدعاء عليه، وغرضك الدعاء له.

مواضع الفصل:

يجب الفصل في خمسة مواضع:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، بأن تكون الثانية بدلاً من الأولى، نحو: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿الشُّعْرَاءُ: ١٣٢-١٣٣﴾، أو بأن تكون بياناً لها، نحو: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُمْ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [ظه: ١٢٠]، أو بأن تكون مؤكدة لها، نحو: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيَاءُ﴾ [الطَّارِق: ١٧].

ويقال في هذا الموضع: إن بين الجملتين كمال الاتصال.

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تام بأن يختلفا خبراً وإنشاءً، كقوله:

وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلَهَا

فَحَتَفَ كُلُّ امْرِئٍ امْرِئٍ يَجْرِي بِمَقْدَارٍ

أو بأن لا يكون بينهما مناسبة [في المعنى]^(١)، كقولك: عليّ كاتب، الحمام طائر، فإنه لا مناسبة [في المعنى]^(٢) بين كتابة علي وطيران الحمام.

(١) ساقطة من (ب).

(٢) ساقطة من (ب).

ويقال في هذا الموضع إن بين الجملتين كمال الانقطاع^(١).

الثالث: كون الجملة الثانية جواباً عن سؤالٍ نشأ من الجملة الأولى، كقوله:

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ
صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرْتِي لَا تَنْجَلِي

كأنه قيل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟، فقال: صدقوا .

ويقال: بين الجملتين شبه كمال الاتصال.

الرابع: أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على إحداهما؛ لوجود المناسبة، وفي عطفها على الأخرى فساد، فيترك العطف دفعاً للوهم، كقوله:

وَتُظُنُّ سَلَمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا
بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

فجملة (أراها) يصح عطفها على تظن، لكن يمنع من هذا توهم عطفها على جملة (أبغي بها)، فتكون الجملة

(١) كما يقال في الموضع الثاني من الوصل والعطف هناك لدفع الإيهام. (المؤلفون).

الثالثة من مزنونات سلمى مع أنه ليس مراداً.

ويقال بين الجملتين في هذا الموضع شبه كمال
الانقطاع.

الخامس: أن لا يقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام
مانع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فجملة
(الله يستهزئ بهم) لا يصح عطفها على (إنا معكم)،
لاقتضائه أنه من مقولهم، ولا على جملة (قالوا) لاقتضائه أن
استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم.

ويقال: بين الجملتين في هذا الموضع توسط بين
الكمالين^(١).



(١) كما يقال بين الجملتين في الموضع الأول من الوصل غير أن الفصل هنا لقصد عدم التشريك. (المؤلفون).

الباب الثامن

في الإيجاز والإطناب والمساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني يمكن أن يعبر عنه بثلاث طرق:

١ - المساواة، وهي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون على الحد الذي جرى به عرف أوساط الناس، وهم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلاغة، ولم ينحطوا إلى درجة الفهامة، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢ - والإيجاز، وهو تأدية المعنى بعبارة ناقصة عنه مع وفائها بالغرض، نحو:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ

.....

فإذا لم يف بالغرض سُمِّيَ إخلالاً، كقوله:

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ

لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

مراده أن العيش الرغد في ظلال الحُمق خير من العيش الشاق في ظلال العقل.

٣ - والإطناب، وهو تأدية المعنى بعبارة زائدة عنه مع الفائدة، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، أي: كبرتُ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سمي تطويلاً إن كانت الزيادة غير متعينة، وحشواً إن تعينت.
فالتطويل، نحو:

.....

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْنَا

والحشؤ نحو:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ

.....

ومن دواعي الإيجاز: تسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام، والإخفاء، وسأمة المحادثة.

ومن دواعي الإطناب: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام.

أقسام الإيجاز:

الإيجاز إما أن يكون بتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة، وهو مركز عناية البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، ويسمى إيجاز قَصْرٍ، نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وإما أن يكون بحذف كلمة، أو جملة، أو أكثر، مع قرينة تعين المحذوف، ويسمى إيجاز حذف.

فحذف الكلمة كحذف (لا) في قول امرئ القيس:

فقلتُ يمينُ الله أبرحُ قاعداً

ولو قَطَعُوا رأسي لَدَيْكَ وأوصالي

وحذف الجملة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤]، أي: فتأس واصبر.

وحذف الأكثر نحو: قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴿يُوسُفُ: ٤٥-٤٦﴾، أي: أرسلوني إلى يوسف؛ لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه، وقال له: يا يوسف.

أقسام الإطناب:

الإطناب يكون بأمور كثيرة:

منها: ذكر الخاص بعد العام، نحو: اجتهدوا في

دروسكم واللغة العربية، وفائدته التنبيه على فضل الخاص،
كأنه لرفعته جنس آخر مغاير لما قبله.

ومنها: ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ
أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
[نوح: ٢٨].

ومنها: الإيضاح بعد الإبهام، نحو: ﴿أَمَذَّكُرُ بِمَا تَعْلَمُونَ *
أَمَذَّكُرُ بِأَنعَمٍ وَبَيْنَ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

ومنها: التوشيع، وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى
مفسر باثنين، كقوله:

أُمْسِي وَأُصْبِحُ مِنْ تَذْكَارِكُمْ وَصَبَاً
يَرْتِي لِي الْمَشْفِقَانِ الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

ومنها: التكرير؛ لغرض، كطول الفصل في قوله:

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ
عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وكزيادة الترغيب في العفو في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا
وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وكتأكيد الإنذار في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ * ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿[التكاثُر: ٣-٤].

ومنها: الاعتراض، وهو توسط لفظ بين أجزاء جملة،
أو بين جملتين مرتبطتين معنى لغرض، نحو:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلْغَتَهَا

قَدْ أَخَوْجَثُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

ونحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا
يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

ومنها: الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد غرضاً يتم
المعنى بدونه، كالمبالغة في قول الخنساء:

وإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ

كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

ومنها: التذييل، وهو: تعقيب الجملة بأخرى تشتمل
على معناها تأكيداً لها.

وهو إما أن يكون جارياً مجرى المثل؛ لاستقلال معناه،
واستغنائه عما قبله، كقوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإما أن يكون غير جار مجرى المثل؛ لعدم استغنائه عما قبله، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سَبَا: ١٧].

ومنها: الاحتراس وهو: أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، نحو:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا

صَوَّبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةَ تَهْمِي

ومنها: التكميل، وهو: أن يؤتى بفضلة تزيد المعنى حسناً، نحو: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨]، أي: مع حبه^(١)، وذلك أبلغ في الكرم.



(١) في (ب) أي مع حب الطعام.

الخاتمة

في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

إيراد الكلام على حسب ما تقدم من القواعد يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر، وقد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر، ويورد الكلام على خلافه في أنواع مخصوصة:

منها: تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها منزلة الجاهل بها؛ لعدم جريانه^(١) على موجب علمه، فيُلْقَى إليه الخبر كما يُلْقَى إلى الجاهل، كقولك لمن يؤذي أباه: هذا أبوك.

ومنها: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا لاح عليه شيء من علامات الإنكار، فيؤكد له، نحو:

جاء شقيقٌ عارضاً رُمَحَه

إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاح

(١) في (ب) جريه.

وكقولك للسائل المستبعد حصول الفرج: إن الفرج
لقريب.

وتنزيل المنكر، أو الشاك منزلة الخالي إذا كان معه من
الشواهد ما إذا تأمله زال إنكاره، أو شكّه، كقولك لمن ينكر
منفعة الطب، أو يشك فيها: الطب نافع.

ومنها: وضع الماضي موضع المضارع؛ لغرض، كالتنبيه
على تحقق الحصول، نحو: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾
[النحل: ١]، أو التفاؤل، نحو: إن شفاك الله اليوم تذهب معي
غداً.

وعكسه، أي: وضع المضارع موضع الماضي؛ لغرض،
كاستحضار الصورة الغريبة في الخيال، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ
الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الرؤم: ٤٨]، أي: فأنارت، وإفادة
الاستمرار في الأوقات الماضية، نحو: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ
مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، أي: لو استمر على إطاعتكم.

ومنها: وضع الخبر موضع الإنشاء؛ لغرض، كالتفاؤل،
نحو: هداك الله لصالح الأعمال، وإظهار الرغبة، نحو:
رزقني الله لقاءك، والاحتراز عن صورة الأمر تأديباً، كقولك:
ينظر مولاي في أمري.

وعكسه، أي: وضع الإنشاء موضع الخبر؛ لغرض،
 كإظهار العناية بالشيء، نحو: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا
 وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]، لم يقل: (وإقامة
 وجوهكم) عناية بأمر الصلاة، والتحاشي عن موازنة اللاحق
 بالسابق، نحو: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا
 تُشْرِكُونَ﴾ [مُود: ٥٤]، لم يقل: (وأشهدكم) تحاشياً عن موازنة
 شهادتهم بشهادة الله، والتسوية، نحو: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
 لَّنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣].

ومنها: الإضمار في مقام الإظهار؛ لغرض، كادعاء أن
 مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، كقول الشاعر:

أَبَتِ الْوِصَالَ مَخَافَةَ الرُّقَبَاءِ

وَأَتَتْكَ تَحْتَ مَدَارِعِ الظُّلَمَاءِ

الفاعل ضمير لم يتقدم له مرجع، فمقتضى الظاهر
 الإظهار.

وتمكين ما بعد الضمير في نفس السامع؛ لتشوقه إليه،
 أولاً، نحو:

.....

هي النفسُ ما حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، نَعَمْ تلميذاً المؤدّب^(١).

وعكسه، أي: الإظهار في مقام الإضمار؛ لغرض،
كتقوية داعي الامتثال، كقولك لعبدك: سيدك يأمر بكذا.

ومنها: الالتفات، وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو
الخطاب، أو الغيبة إلى حالة أخرى من ذلك.

فالنقل من التكلم إلى الخطاب نحو: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ
الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، أي: أرجع، ومن التكلم
إلى الغيبة نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ
وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢]، ومن الخطاب إلى التكلم كقول
الشاعر:

أَتَطْلُبُ وَضَلَّ رَبَّاتِ الْجَمَالِ

وقد سَقَطَ المشيبُ على قَذَالِي

ومنها: تجاهل العارف وهو: سوق المعلوم مساق غيره؛
لغرض، كالتوبيخ، نحو:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً

كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ ظَرِيفٍ

(١) في (أ) نعم تلميذ المؤدّب.

ومنها: أسلوب الحكيم، وهو: تَلَقَّى الْمُخَاطِبُ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُهُ، أو السائل بغير ما يطلبه تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد.

فالأول: يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله، كقول الْقَبْعَثَرَى لِلْحَجَّاجِ - وقد توعد به بقوله: لأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَدْهَمِ -: مثلاً الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال له الْحَجَّاجُ: أَرَدْتُ الْحَدِيدَ، فقال الْقَبْعَثَرَى: لَأَنْ يَكُونَ حَدِيداً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً، أَرَادَ الْحَجَّاجُ بِالْأَدْهَمِ الْقَيْدَ، وبالحديد المعدنَ المخصوص، وحملهما الْقَبْعَثَرَى عَلَى الْفَرَسِ الْأَدْهَمِ الَّذِي لَيْسَ بَلِيداً.

والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مناسب لحالة السائل، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يتزايد حتى يصير بديراً، ثم يتناقص حتى يعود كما بدأ؟، فجاء الجواب عن الحكمة المترتبة على ذلك؛ لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته.

ومنها: التغليب، وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه كتغليب المذكر على المؤنث، في قوله تعالى: ﴿وَكَاثَ مِنْ أَلْقَيْنِ﴾ [التخريم: ١٢]، ومنه الأبوان للأب والأم، [وكتغليب المذكر والأخف على غيرهما]^(١)، نحو: القمرين، أي: الشمس والقمر، والعمرين، أي: أبي بكر وعمر، [والأكثر على الكل]^(٢)، نحو: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، أدخل شعيب بحكم^(٣) التغليب [في (لنعودن في ملتنا)]^(٤) مع أنه لم يكن فيها قَطُّ حتى يعود إليها، وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].



-
- (١) في (ب) وكتغليب الأخف على غيره.
(٢) في (أ) والمخاطب على غيره.
(٣) في (ب) في حكم.
(٤) في (ب) في العود إلى ملتهم.
-

علم البيان

علم البيان: البيان علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية^(١).

التشبيه:

التشبيه: إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض.

والأمر الأول يسمى المشبّه، والثاني المشبّه به، والوصف وجه الشبه، والأداة الكاف أو نحوها، نحو: العلم كالنور في الهداية، فالعلم مشبّه، والنور مشبّه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه.

ويتعلق بالتشبيه ثلاثة مباحث، الأول: في أركانه، والثاني: في أقسامه، والثالث: في الغرض منه.

(١) وقد عرفوا البيان. أيضاً. بأنه قواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، كالتعبير عن الكرم بعبارات التشبيه والمجاز والكناية، والأقرب أن يقال: علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه، والمجاز والكناية، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث، وقد اتبعنا ذلك تسهيلاً على التلامذة. (المؤلفون).

المبحث الأول في أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة: المشبه، والمشبّه به - ويسمّيان طرفي التشبيه -، ووجه الشبه، والأداة.

والطرفان: إمّا حسيان^(١)، نحو: الورق كالحرير في النعومة.

وإمّا عقليان^(٢) نحو: الجهل كالموت.

(١) المراد بالحسي: ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة. ومن الثاني قوله:

وكان محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

فإن المشبه به - وهو الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية - وإن كان معدوماً لا يدركه الحس إلا أن مادته - وهي الأعلام، والياقوت، والرماح، والزبرجد - مما يدرك بالبصر، ومثل هذا التشبيه يسمى بالخيالي. (المؤلفون).

(٢) المراد بالعقلي: ما لا يكون هو ولا مادته مدركاً بتلك الحواس، ومنه ما ليس مدركاً هو ولا مادته بالحس، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركاً بها، نحو: قوله:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها، وإنما الوهم اخترعها، ولو وجدت لأدركت بالحس، ومثل هذا التشبيه، يسمى بالوهمي. (المؤلفون).

وإما مختلفان، نحو: خُلِقَ كالعطر.
ووجه الشبه هو الوصف الخاص الذي قُصِدَ اشتراكُ
الطرفين فيه، كالهداية في العلم والنور^(١).
وأداة التشبيه هي اللفظ الذي يدل على معنى المشابهة،
كالكاف، وكَأَنَّ، وما في معناهما.
و(الكاف) يليها المشبه به، بخلاف (كَأَنَّ) فيليها المشبه،
نحو:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا رَاحَةً تَشْبُرُ^(٢) الدُّجَى

لِتَنْظُرَ طَالَ اللَّيْلِ أُمٌّ قَدْ تَعَرَّضَا

و(كَأَنَّ) تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً، والشك إذا
كان خبرها مشتقاً، نحو: كأنك فاهمٌ.

وقد يذكر فعلٌ ينبئ عن التشبيه، نحو: قوله تعالى: ﴿إِذَا
رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وإذا حذفت أداة التشبيه ووجهه، يسمى تشبيهاً بليغاً،
نحو: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾ [النبي: ١٠]، أي: كاللباس في الستر.

(١) ويكون وجه الشبه محققاً كما في المثال، ومتخيلاً كما في قوله:

يا من له شعر كحظي أسود

فإن وجه الشبه - وهو السواد - متخيل في الحظ. (المؤلفون).

(٢) في (أ) تشبه.

المبحث الثاني في أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام:
تشبيه مفرد بمفرد^(١)، نحو: هذا الشيء كالمسك في الرائحة.

وتشبيه مركب بمركب، بأن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة حاصلة من عدة أمور، كقول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

فإنه شبه هيئة الغبار وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة.

(١) وقد يكون المفرد مقيداً، نحو: الساعي بغير طائل كالراقم على الماء، فإن المشبه هو الساعي المقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء، والمشبه به هو الراقم المقيد بكون رقبته على الماء دون غيره، ويشترط في القيد أن يكون له دخل في وجه الشبه كما في هذا المثال، وعلى هذا جعل قوله تعالى: ﴿مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسَ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] من تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. (المؤلفون).

وتشبيه مفرد بمركب، كتشبيه الشقيق بهيئة أعلام يا قُوتِيَّة
منشورة على رماح زَبْرَجْدِيَّة.

وتشبيه مركب بمفرد، نحو: قوله:

يا صَاحِبِي تَقْصِيَا نَظْرِيكُمَا
تَرِيَا وُجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
تَرِيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ
زَهْرُ الرَّبَا فَكَأَنَّما هُوَ مُقْمِرُ

فإنه شبه هيئة النهار المشمس الذي اختلطت به أزهار
الربوات بالليل المقمر.

وينقسم باعتبار الطرفين أيضاً إلى ملفوف ومفروق.

فالملفوف: أن يؤتى بمشبهين، أو أكثر، ثم بالمشبه
بها، نحو:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً
لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
فإنه شبه الرَّطْبَ الطَّرِيَّ من قلوب الطير بالعُنَابِ،
واليابس العتيق منها بالتمر الرديء.

والمفروق: أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر،
نحو:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ ذَنَّا
نِيرٌ وَأَظْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ
وإن تعدد المشبه دون المشبه به سُمِّيَ تَشْبِيهَ التَّسْوِيَةِ،
نحو:

صُدْغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي
كِلَاهُمَا كَالْيَالِي
وإن تعدد المشبه به دون المشبه سمي تشبيه الجمع،
نحو:

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُؤٍ
مُنْضَدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاخٍ^(١)
وينقسم باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل، وغير تمثيل.
فالتمثيل: ما كان وجهه منتزعا من متعدد، كتشبيه الثريا
بِعُنُقُودِ الْعِنَبِ المنور.

وغير التمثيل: ما ليس كذلك، كتشبيه النجم بالدرهم.
وينقسم بهذا الاعتبار أيضاً إلى مفصل ومجمل.
فالأول: ما ذكر فيه وجه الشبه، نحو:

(١) الأقاخي: جمع أقحوان وهو البابونج. (المؤلفون)، هذه الحاشية ساقطة من (أ).

وَتَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ

وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي

والثاني: ما ليس كذلك، نحو: النحو في الكلام
كالملح في الطعام.

وينقسم باعتبار أدواته إلى:

مؤكد، وهو: ما حذفت أدواته، نحو: هو بحر في
الجود.

ومرسل، وهو: ما ليس كذلك، نحو: هو كالبحر كرمًا.

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، نحو:

وَالرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى

ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ



المبحث الثالث في أغراض التشبيه

الغرض من التشبيه إما بيان إمكان المشبه، نحو:

فإن تَفَقَّ الأنامَ وأنتَ منهم

فإنَّ المسكَ بعضُ دم الغزالِ

فإنه لما ادعى أن الممدوح مباين لأصله بخصائص جعلته حقيقة منفردة، احتج على إمكان دعواه بتشبيهه بالمسك الذي أصله دم الغزال.

وإما بيان حاله، كما في قوله:

كأنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ

إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ

وإما بيان مقدار حاله، نحو:

فِيهَا اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبَةً

سُوداً كخافيةِ الغرابِ الأسحَمِ

شبه النوق السود بخافية الغراب؛ بياناً لمقدار سوادها.

وإما تقرير حاله، نحو:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدَّهَا

مثلُ الزجاجةِ كسرُها لا يجبرُ

شبه تنافر القلوب بكسر الزجاج؛ تشبيهاً لتعذر عودتها
إلى ما كانت عليه من المودة.

وإما تزيينه، نحو:

سَوْدَاءُ وَاضِحَةُ الْجَبِينِ

كَمُقْلَةِ الظُّبْيِ الْغَرِيرِ

شبه سوادها بسواد مقلة الظبي؛ تحسناً لها.

وإما تقبيحه، نحو:

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثاً فَكَأَنَّهُ

قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلِطُمُ

وقد يعود الغرض إلى المشبه به إذا عكس طرفا التشبيه،

نحو:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ

وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدِّحُ

ومثل هذا يسمى بالتشبيه المقلوب.

المجاز^(١)

هو اللفظ^(٢) المستعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى السابق، كالدرر المستعملة في الكلمات الفصيحة في قولك: فلان يتكلم بالدرر، فإنها مستعملة في غير ما وضعت له؛ إذ قد وضعت في الأصل للآلئ الحقيقية، ثم نقلت إلى الكلمات الفصيحة، لعلاقة المشابهة بينهما، في الحسن، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة يتكلم.

وكالأصابع المستعملة في الأنامل في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، فإنها مستعملة في غير ما وضعت له؛ لعلاقة أن الأنملة جزء من الأصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

(١) إذا أطلق المجاز لا ينصرف إلا إلى اللغوي، وسيأتي مجاز يسمى بالمجاز العقلي. (المؤلفون).

(٢) عبر باللفظ دون الكلمة ليشمل التعريف المجاز المفرد والمجاز المركب. (المؤلفون).

والمجاز إن كانت علاقته المشابهة بين المعنى المجازي، والمعنى الحقيقي، كما في المثال الأول يسمى استعارة، وإلا فمجاز مرسل، كما في المثال الثاني.

الاستعارة:

الاستعارة هي: مجاز علاقته المشابهة، كقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي: من الضلال إلى الهدى^(١)، فقد استعملت الظلمات والنور في غير معنهما الحقيقي، والعلاقة المشابهة بين الضلال والظلام، والهدى والنور، والقرينة ما قبل ذلك. وأصل الاستعارة: تشبيهٌ حُذِفَ أحد طرفيه، ووجه شبهه، وأداته.

والمشبه يسمى مستعاراً له، والمشبه به مستعاراً منه، ففي هذا المثال المستعار له هو الضلال، والهدى، والمستعار منه هو معنى الظلام، والنور، ولفظ الظلمات والنور يسمى مستعاراً.

(١) ويقال في إجرائها: شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. (المؤلفون).

وتنقسم الاستعارة إلى مُصَرَّحَة، وهي: ما صُرِّحَ فيها بلفظ المشبه به كما في قوله:

فَأَمْطَرْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ

وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

فقد استعار اللؤلؤ، والنرجس، والورد، والعناب، والبرد للدموع، والعيون، والحدود، والأنامل، والأسنان.

وإلى مَكْنِيَّة، وهي: ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]^(١)، فقد استعار الطائر للذل، ثم حذفه، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه استعارة تَخْيِيلِيَّة.

وتنقسم الاستعارة إلى أصلية، وهي: ما كان فيها المستعار اسماً غير مشتق كاستعارة الظلام للضلال، والنور للهدى، وإلى تَبَعِيَّة، وهي: ما كان فيها المستعار فعلاً، أو حرفاً، أو اسماً، مشتقاً، نحو: ركب فلان^(٢) كَتَفَيْ

(١) ويقال في إجرائها: شبهت الذل بطائر واستعير لفظ المشبه وهو الطائر للمشبه وهو الذل على طريق الاستعارة المكنية، الأصلية، ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح. (المؤلفون).

(٢) في (أ) فلان ركب.

غريمه^(١)، أي: لازمه ملازمة شديدة، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [القمان: ٥]^(٢)، أي: تمكنوا من الحصول على الهداية التامة، ونحو قوله:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحاً

فَلِسَانُ حَالِي بِالشُّكَايَةِ أَنْطِقُ

[أي: أدل]^(٣) ونحو: أذقته^(٤) لباس الموت، أي:

ألبسته إياه.

وتنقسم الاستعارة إلى:

مُرَشَّحَةٌ، وهي: ما ذكر فيها مُلَائِمُ المشبه به، نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَت بِتِجَارَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦]، فالاشتراء مستعار للاستبدال، وذكر الربح والتجارة ترشيح.

(١) ويقال في إجرائها: شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب، للمشبه، وهو اللزوم ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. (المؤلفون).

(٢) ويقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكلبيين للجزئيات، ثم استعيرت (على) من جزئي من جزئيات المشبه به بجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. (المؤلفون).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (١).

(٤) ويقال في إجرائها: شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعير الإلباس للإذاقة، واشتق منه: ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية، ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اللباس. (المؤلفون).

وإلى مجردة، وهي: التي ذكر فيها مُلائمُ المشبه، نحو:
﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، استعير
اللباس لما غشي الإنسان عند الجوع والخوف، والإذاقة
تجريد، لذلك.

وإلى مطلقة، وهي التي لم يذكر معها مُلائمٌ، نحو:
﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

ولا يعتبر الترشيح والتجريد إلا بعد تمام الاستعارة
بالقرينة.

المجاز المرسل:

هو مجاز علاقته غير المشابهة:

١ - كالسببية في قولك: عظمت يد فلان [عندي]^(١)، أي:
نعمته التي سببها اليد.

٢ - والمسببية في قولك: أمطرت السماء نباتاً، أي: مطراً
يتسبب عنه النبات.

٣ - والجزئية في قولك: أُرْسِلَتِ العيونُ لتَطَّلَعَ على أحوال
العدو، أي: الجواسيس.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

٤ - والكلية في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي ذَاتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، أي أناملهم.

٥ - واعتبار ما كان في قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْا آلَيْسَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: البالغين.

٦ - واعتبار ما يكون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيكَ أَغْصُرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عنياً.

٧ - والمحلية، في قولك^(١): قرر المجلس ذلك، أي: أهله.

٨ - والحالية في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، أي: جنته.

المجاز المركب^(٢):

المركب إن استعمل في غير ما وُضع له، فإن كان لعلاقة غير المشابهة سمي مجازاً مركباً، كالجمل الخبرية، إذا استُعملت في الإنشاء، نحو قوله:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضِعِدٌ
جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

(١) في: (أ) نحو: بدل (في قولك).

(٢) المجاز المركب بقسميه من المجاز اللغوي. (المؤلفون). هذه الحاشية ساقطة من (أ).

فليس الغرض من هذا البيت الإخبار، بل إظهار
التحزن، والتحسر.

وإن كانت علاقته المشابهة سمي استعارة تمثيلية، كما
يقال للمتروك في أمر: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى^(١).

المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند
المتكلم في الظاهر؛ لعلاقة، نحو قوله:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ

رَكَرُ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

فإنَّ إسنادَ الإشابة والإفناء إلى كر الغداة ومرور العشي
إسناد إلى غير ما هو له؛ إذ المُشِيبُ والمفني في الحقيقة هو
الله تعالى.

ومن المجاز العقلي إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول،
نحو: ﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١]، وعكسه، نحو: سِيلٌ مُفْعَمٌ،

(١) ويقال في إجراء الاستعارة: شبهنا صورة تردده في هذا الأمر بصورة تردد من قام
ليذهب، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى، ثم استعنا اللفظ
الدال على صورة المشبه به لصورة المشبه.
والأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية. (المؤلفون).

والإسناد إلى المصدر، نحو: جَدَّ جِدُّهُ، وإلى الزمان، نحو: نهاره صائم، وإلى المكان، نحو: نَهْرٌ جارٍ، وإلى السبب، نحو: بنى الأمير المدينة^(١).

ويعلم مما سبق أن المجاز اللغوي يكون في اللفظ، والمجاز العقلي يكون في الإسناد.

الكناية:

هي: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، نحو: طويل النجاد، أي: طويل القامة، وتنقسم باعتبار المكني عنه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: كناية يكون المكني عنه فيها صفةً، كقول الخنساء:

طويلُ النَّجَادِ رفيعُ العِمَادِ

كثيرُ الرَّمَادِ إذا ما شَتَا

تريد أنه طويل القامة سيد كريم

والثاني: كناية يكون المكني عنه فيها نسبةً، نحو:

المجد بين ثوبيه، والكرم تحت رداءه، تريد نسبة المجد والكرم إليه.

(١) في (أ): بنى أمير المدينة.

والثالث: كناية يكون المكني عنه فيها غير صفة، ولا نسبة، كقوله:

الضاربين بكلّ أبيضٍ مخْذَمٍ
والطاعنين مجامِعَ الأضْغانِ

فإنه كنى بمجامع الأضغان عن القلوب.
والكناية إن كثرت فيها الوسائط سُمِّيَتْ تلويحاً، نحو:
هو كثير الرماد، أي: كريم، فإن كثرة الرماد تستلزم كثرة
الإحراق، وكثرة الإحراق تستلزم كثرة الطبخ والخبز،
وكثرتهما تستلزم كثرة الأكلين، وهي تستلزم كثرة الضيفان،
وكثرة الضيفان تستلزم الكرم.
وإن قلَّتْ وخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رمزاً، نحو: هو سمين رخو،
أي: غبي بليد، وإن قلَّتْ فيها الوسائط، أو لم تكن،
ووضحت سميت إيماءً، وإشارةً، نحو:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ

فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

كناية عن كونهم أمجاداً.

وهناك نوع من الكناية يعتمد في فهمه على السياق،
يسمى تعريضاً، وهو: إمالة الكلام إلى عُرْضٍ، أي: ناحية
كقولك لشخص يضر الناس: خيرُ الناس من ينفعهم.

علم البديع

علم البديع:

البديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوجوه ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمى بالمحسنات المعنوية، وما يرجع منها إلى تحسين اللفظ يسمى بالمحسنات اللفظية.

محسنات معنوية:

١ - التورية: أن يذكر لفظ له معنيان قريب يتبادر فهمه من الكلام، وبعيد هو المراد بالإفادة؛ لقرينة خفية، نحو: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، أراد بقوله: جرحتم معناه البعيد، وهو: ارتكاب الذنوب.

وكقوله:

يَا سَيِّدًا حَازَ لُطْفًا
لَهُ الْبَرَائَا عَزِيدُ
أَنْتَ الْحَسِينُ وَلَكِنْ
جَفَاكَ فِينَا يَزِيدُ

معنى (يزيد) القريبُ: أنه عَلِمَ، ومعناه البعيد المقصود: أنه فعل مضارع من زاد.

٢ - الإيهام: إيراد الكلام محتملاً لوجهين متضادين، نحو:

بَارَكَ اللَّهُ لِلْحَسَنِ

وَلِبُورَانَ فِي الْخَتَنِ

يَا إِمَامَ الْهَدَى ظَفِرُ

تَ وَلَكِنْ بِبِنْتٍ مَنْ؟

فإن قوله: (بنت من) يحتمل أن يكون مدحاً بالعظمة^(١)، وأن يكون ذماً بالدناءة^(٢).

٣ - التوجيه: إفادة معنى بالفاظ: موضوعه له، ولكنها

أسماء لناس، أو غيرهم، كقول بعضهم يصف نهراً:

إِذَا فَاخَرْتُهُ الرِّيحُ وَلَّتْ عَلِيلَةٌ

بِأَذْيَالِ كُثْبَانَ الثَّرَى تَتَعَثَّرُ^(٣)

به الفضل يبدو والربيع وكم غداً

به الرّوض يحيى وهو لا شك جعفر

فالفضل والربيع ويحيى وجعفر أسماء ناس، وكقوله:

وَمَا حُسْنُ بَيْتٍ لَهُ زُخْرُفٌ

تراه إذا زُلْزِلَتْ لَمْ يَكُنْ

(٢) في: (أ) ذماً لدناءة.

(١) في: (أ) مدحاً لعظمة.

(٣) في: (أ) تتعسر.

فإن (زخرفاً)، و(إذا زلزلت)، و(لم يكن)، أسماء سور من القرآن.

٤ - الطباق: هو الجمع بين معنيين متقابلين، نحو: قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِقَازًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿ [الرُّوم: ٦-٧].

٥ - من الطباق المقابلة: وهو أن يؤتى بمعنيين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، نحو: قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

٦ - ومنه التديج: وهو التقابل بين ألفاظ الألوان، كقوله: تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى

لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُتُودٍ خُضْرُ

٧ - الإدماج: أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر، نحو قول أبي الطيب:

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي

أَعُدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوبَا

فإنه ضمن وصف الليل بالطولِ الشكاية من الدهر.

٨ - ومن الإدماج ما يسمى بالاستتباع، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر، كقول الخوارزمي:

سَمَحُ البديهة ليس يُمَسِّكُ لفظُهُ

فكأنما ألفاظه مِنْ مَالِهِ

[مدحه بطلاقة اللسان على وجه استتبع مدحه بالكرم] (١).

٩ - مراعاة النظير: هي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد، كقوله:

إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى

مَكَارِمَ لَا تَخْفَى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ

فقد جمع بين الجد، والعم، والخال، والمراد بالأول الحظ، وبالثاني عامة الناس، وبالثالث الظن.

١٠ - الاستخدام: هو ذكر اللفظ بمعنى، وإعادة ضمير عليه

بمعنى آخر، أو إعادة ضميرين تريد بثانيهما غير ما

أردته بأولهما، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ

مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أراد بالشهر الهلال،

وبضميره الزمان المعلوم، والثاني كقوله:

فَسَقَى الْغَضَا وَالسَّكِينِيَّةَ (٢) وَإِنْ هُمْ

شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) في (أ): فسقى الغضاء الساكنية.

الغضا: شجر بالبادية، وضمير ساكنيه، يعود إليه بمعنى مكانه، وضمير شَبُوهُ يعود إليه بمعنى ناره.

١١- الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة، ثم يرجع إلى تتميم الأول، كقول السَّمَوَّل:

وإِنَّا أَنْاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُّوْ
يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ
وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه إلى هجاء عامر وسلول، ثم عاد إليه.

١٢- الافتنان: هو الجمع بين فنين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء، والتعزية، والتهنئة، كقول عبد الله بن همام السلولي حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية وخَلَفَهُ هو في الملك: أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرِّزْيَةِ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ، وَأَعَانَكَ عَلَى

الرعية، فقد رُزئت عظيمًا، وأُعطيت جسيمًا، فاشكر
الله على ما أُعطيت، واصبر على ما رُزئت، فقد فقدت
الخليفة، وأُعطيت الخلافة، ففارقت خليلًا، ووُهِبت
جليلاً.

اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا ثِقَةٍ

واشكرْ حِبَاءَ الذي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ

لا رُزْءَ أَصْبَحَ في الْأَقْوَامِ نَعْلَمُهُ

كَمَا رُزِئْتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ

١٣- الجمع: هو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد،
كقوله:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجِدَّةَ

مَفْسِدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسِدَةٍ

١٤- التفريق: هو أن يفرق بين شيئين من نوع واحد،
كقوله:

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ

كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءٍ

فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَذْرُهُ عَيْنٍ

وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرُهُ مَاءٍ

١٥- التقسيم هو:

إما استيفاء أقسام الشيء، نحو قوله:
وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
ولكنني عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِي
وإما ذكرٌ متعدد وإرجاع ما لكلٍّ إليه على التعيين،
كقوله:

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُّ بِهِ
إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ
وَذَا يَشْجُ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدُ
وإما ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منها ما يليق به،
كقوله:

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمُّوا مُرْدُ
ثِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا
كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُذُّوا

١٦- الطي والنشر: هو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين

اعتماداً على فهم السامع ، كقوله تعالى : ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبَيِّنُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القَصص: ٧٣] ، فالسكون
راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار.
وكقول الشاعر :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

١٧- إرساؤُ المثل^(١) ، والكلامُ الجامعُ : هو أن يؤتى بكلام
صالح لأن يتمثل به في مواطن كثيرة ، والفرقُ بينهما
أنَّ الأولَ يكون بعض بيتٍ ، كقوله :

.....

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ

والثاني يكون بيتاً كاملاً كقوله :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى الْعَصَا

فَقَدْ بَطَلَ السَّحَرُ وَالسَّاحِرُ

١٨- المبالغة : هي ادّعاءُ بلوغٍ وصفٍ في الشدة والضعف
حداً يبعد أو يستحيل.

(١) في (ب) إرساؤُ المثل.

وتنقسم ثلاثة أقسام:

تبليغٌ إن كان ذلك ممكناً عقلاً وعادةً، كقوله في وصف فرس:
إذا ما سابتها الريحُ فرَّتْ

وألقت في يدِ الريحِ التُّراباً

وإغراقٌ إن كان ممكناً عقلاً لا عادةً، كقوله:

ونُكِرْمُ جارِنا ما دامَ فينا

ونُثْبِعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا

وغُلُوٌّ إن استحال عقلاً وعادةً، كقوله:

تَكَادُ قِسِيُّهُ مَنْ غَيْرِ رَامٍ

تُمْكِنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَالَا

١٩- المغايرة: هي مدحُ الشيء بعد ذمه، أو عكسه، كقوله

في مدح الدينار:

أَكْرِمَ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهُ

.....

بعد ذمِّه في قوله:

تَبَّأْ لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَازِقٍ^(١)

.....

(١) في: (ب) مِمَازِق.

٢٠- تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان :

أحدهما : أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح على تقدير دخولها فيها ، كقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

وثانيهما : أن يثبت لشيء صفة مدح ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى ، كقوله :

فتى كملت أوصافه غير أنه

جواد فما يبقي على المال باقيا

٢١- تأكيد الذم بما يشبه المدح ضربان - أيضا - :

الأول : أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم على تقدير دخولها فيها ، نحو : فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق.

والثاني : أن يثبت لشيء صفة ذم ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى ، كقوله :

هو الكلب إلا أن فيه ملالة

وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

٢٢- التجريد: هو أن يُنتزَع من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرٌ مثله فيها مبالغةً لكمالها فيه، ويكون بمنّ، نحو: لي من فلان صديق حميم، أو في كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فُضِّلَتْ: ٢٨]، أو الباء، نحو: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، أو بمخاطبة الإنسان نفسه، كقوله:

لا خيلَ عندكَ تُهْدِيهَا ولا مالٌ
فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِن لَّمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

أو بغير ذلك، كقوله:

فَلَيْسَ بَقِيَتْ لِأَرْحَلَنَ لِعَزْوَةٍ
تَحْوي الغنائمَ أو يموتَ كريمٌ

٢٣- حسن التعليل: هو أن يُدَّعى لوصفٍ علةٌ غير حقيقية فيها غرابة، كقوله:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتُهُ
لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ

٢٤- ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني، فتختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، والكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة للغزل ونحوه، كقوله:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِّيَّةً
هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَضْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ
ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
وقوله :

لَمْ يَظُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ
وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمِ

محسنات لفظية:

١ - تشابه الأطراف: هو جعلُ آخرِ جملةٍ صدرَ تاليها، أو آخر بيت صدر ما يليه، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الزُّجَاةُ كَانَتْهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النُّور: ٣٥]، وكقول الشاعر:

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً
تَتَّبَعَ أَقْصَى دَائِهَا فِشْفَاهَا
شفاها مِنْ الداءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا

غلام إذا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَّاهَا

٢ - الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى، ويكون تاماً وغير تام.

فالتام ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب، وهو متماثل إن كان بين لفظين من نوع واحد، نحو:

لَمْ نَلَقْ غَيْرَكَ إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ

فَلَا بَرِحْتَ لَعِينِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا

ومستوفى إن كان من نوعين، نحو:

فَدَارِهِمْ مَا دُمْتُ فِي دَارِهِمْ

وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتُ فِي أَرْضِهِمْ

ومتشابه إن كان بين لفظين أحدهما مركب والآخر مفرد واتفقا في الخط، نحو:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ

فَدَعَاهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةٌ

ومفروق إن لم يتفقا، نحو:

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامَ وَلَا جَامَ لَنَا

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلَنَا

وغير التام ما اختلف في واحد من الأربعة المتقدمة، وهو: محرف إن اختلف لفظاه في هيئة الحروف فقط، نحو قوله: جُبَّةُ الْبُرْدِ جُنَّةُ الْبُرْدِ.

ومطرف إن اختلفا في عدد الحروف فقط، وكانت
الزيادة أولاً، نحو:

[إِنْ كَانَ فِرَاقُنَا مَعَ الصُّبْحِ بَدَا

لَا أَسْفَرَ بَعْدَ ذَاكَ صُبْحٌ أَبَدًا]^(١)

ومذيل إن كانت الزيادة آخرًا، نحو:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ

تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ

ومضارع إن اختلفا في حرفين غير متباعدي المخرج،
نحو: يَنْهَوْنَ وَيَنَآوْنَ، ولاحق إن تباعدا، نحو: ﴿وَإِنَّهُ
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ * ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العَادِيَات: ٧-٨]،
وجناس قلب إن اختلفا في ترتيب الحروف [فقط]^(٢)، كنيل
ولين، وساق وقاس.

٣ - التصدير - ويسمى رد العجز على الصدر - هو: في النثر
أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو
الملحقين بهما بأن جمعها اشتقاق أو شبهه في أول
الفقرة، والثاني في آخرها، نحو: قوله تعالى: ﴿وَتَخَشَّى

(١) هذا البيت ساقط من (أ).

(٢) ساقط من (ب).

النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴿[الأحزاب: ٣٧]، وقولك: سائلُ
اللَّيْمِ يرجع ودمعه سائلٌ، الأول من السؤال، والثاني من
السيلان، ونحو: ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]،
ونحو: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

وفي النظم: أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر
في صدر المصراع الأول، أو بعده، نحو: قوله:

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يلطمُ وجهَهُ
وليسَ إلى داعيِ الندى بِسريعٍ

وقوله:

تمتّع من شميمِ عرارٍ نجدٍ
فَمَا بَعْدَ العشيِّ من عرارٍ

٤ - السجع: هو توافق الفاصلتين نثراً في الحرف الأخير،
وهو ثلاثة أنواع:

مطرفٌ إن اختلفت الفاصلتان في الوزن، نحو: الإنسان
بأدابه، لا بزيه وثيابه.

ومتوازٍ إن اتفقتا فيه، نحو: المرء بعلمه وأدبه لا
بحسبه ونسبه.

ومرصع إن اتفقت ألفاظ الفقرتين، أو أكثرها في الوزن والتقفية، نحو: «يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه».

٥ - ما لا يستحيل بالانعكاس ويسمى القلب، هو كون اللفظ يقرأ طرْدًا وعكسًا، نحو: كن كما أمكنك، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المُدَّثِّر: ٣].

٦ - العكس: هو أن يقدم جزء في الكلام على آخر ثم يعكس، نحو قولك: قول الإمام إمام القول، حر الكلام كلام الحر.

٧ - التشريع: هو بناء البيت على قافيتين بحيث إذا أسقط بعضه كان الباقي شعراً مفيداً كقوله:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَمَّ الْوَرَى

مَا فِي الْكِرَامِ لَهُ نَظِيرٌ يَنْظُرُ

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخِرٌ فِي عَضْرِنَا

مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ مُعْسِرٌ

فإنه يصح أن تحذف أواخر الشطور الأربعة، ويبقى:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي

مَا فِي الْكِرَامِ لَهُ نَظِيرٌ

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخِرٌ

مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ

٨ - المواربة: هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغير معناه بتحريف أو تصحيف، أو غيرهما؛ ليسلم من المؤاخذه، كقول أبي نواس:

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ

كَمَا ضَاعَ عِقْدٌ عَلَى خَالِصَةٍ

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك قال: لم أَقُلْ إِلَّا:

لَقَدْ ضَاءَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ

كَمَا ضَاءَ عِقْدٌ عَلَى خَالِصَةٍ

٩ - ائتلاف اللفظ مع اللفظ: هو كون ألفاظ العبارة من واحد في الغرابة، والتأهل، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥]، لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم أتى بتفتأ التي هي أغرب أفعال الاستمرار.



خاتمة

سرقة الكلام أنواع:

منها: أن يأخذ الناثر أو الشاعر معنى لغيره بدون تغيير
لنظمه كما أخذ عبد الله بن الزبير^(١) بيتي مَعْنٍ^(٢)، وادّعاهما
لنفسه، وهما:

إذا أنت لم تُنصِف أخاك وجدته

على طَرَفِ الهَجْرَانِ إنْ كَانَ يَعْقِلُ

ويركَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ

إذا لم يكنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

ومثل هذا يُسَمَّى نسخاً وانتحالاً، ومن قبيله: أن تُبَدَلَ

الألفاظ بما يرادفها [كَأَنَّ يُقَالَ]^(٣) في قول الحطيئة:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا

واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا، ويوجد اسم آخر بضم ففتح. (المؤلفون).

(٢) بضم ففتح، ومعن بن زائدة بفتح فسكون. (المؤلفون).

(٣) في: (ب) كما قيل.

ذَرِ الْمَآثِرَ لَا تَذْهَبْ لِمَطْلِبِهَا

وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْأَكْلُ اللَّائِسُ

وقريبٌ منه: أن تُبدلَ الألفاظُ بما يضادُّها في المعنى مع
رعاية النظم والترتيب، كما [لو] ^(١) قيل في قول حسان:

بِضِّ الْوَجْهِ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ

شُمُّ الْأَنْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

سُودُ الْوَجْهِ لئِيمَةً أَحْسَابُهُمْ

فُطْسُ الْأَنْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْآخِرِ

ومنها: أن يأخذَ المعنى ويغيّرَ اللفظَ، ويكونَ الكلامُ
الثاني دون الأول، أو مساوياً له، كما قال أبو الطيب في
قول أبي تمام:

هِيَ هَاتِ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ

إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ

وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا

فالمصراع الثاني مأخوذٌ من المصراع الثاني لأبي تمام،
والأول أجودٌ سَبْكَاً، ومثلُ هذا يُسمَّى إغارةً، ومسحاً.

(١) ساقط من (ب).

ومنها: أن يأخذ المعنى وحده، ويكون الثاني دون الأول أو مساوياً له، كما قال أبو تمام في قول من رثى ابنه:

والصبر يُحَمَّدُ في المواطنِ كُلِّها
إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يُحَمَّدُ
وقَدْ كَانَ يُدْعَى لابسُ الصبرِ حازماً
فأصبحَ يدعى حازماً حينَ يَجْزَعُ
وهذا يُسَمَّى إماماً وسلخاً.

٢ - الاقتباس: هو أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه، كقوله:

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم
— وأنكرَ بكلِّ ما يُستطاع
يومَ يأتي الحسابُ ما لظُلومِ
من حميمٍ ولا شفيعٍ يطاع^(١)
وقوله:

لا تُعادِ الناسَ في أوطانِهِمْ
قَلَمَا يُرْعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ

(١) في (أ) كتب البيت هكذا.

يوم يأتي الحساب بالظلم ما من حميم ولا شفيع يطاع

وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشاً بَيْنَهُمْ
خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ
ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس؛ للوزن أو
غيره، نحو:

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ
وفي القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

٣ - التضمين - ويُسمى الإيداع - هو أن يُضمَّن الشعرُ شيئاً
من شعرٍ آخرَ مع التنبيه عليه إن لم يشتهر، كقوله:
إِذَا ضَاقَ صَدْرِي وَخَفْتُ الْعِدَا

تَمَثَّلْتُ بَيْتاً بِحَالِي يَلِيقُ
فَبِاللَّهِ أَبْلُغُ مَا أَرْتَجِي
وَبِاللَّهِ أَدْفَعُ مَا لَا أُطِيقُ

ولا بأس بالتغيير اليسير، كقوله:
أَقُولُ لِمَعْشَرٍ غَلِظُوا وَغَضُّوا
مَنْ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ
هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَّلَاغُ النَّيَا
مَتَى يَضَعِ الْعِمَامَةُ تَعْرِفُوهُ

٤ - العقد والحل : الأول : نظم المنشور، والثاني : نشر المنظوم.

فالأول نحو:

والظلمُ مِنْ شِيَمِ النفوسِ فإنْ تجدْ
ذا عِفَّةٍ فلملةٍ لا يظلمُ

عقد فيه قول حكيم: الظلم من طباع النفس، وإنما يصدها عنه إحدى علتين دينية، وهي: خوف المعاد، ودنيوية، وهي: خوف العقاب الدنيوي.

والثاني نحو: قوله: (العيادة سنة مأجورة، ومكرمة مأثورة، ومع هذا فنحن المرضى، ونحن العُوداد، وكل وِدَادٍ لا يدوم، فليس بِوِدَادٍ).

وحلّ فيه قول القائل:

إذا مَرِضْنَا أَتِينَاكُمْ نَعُودُكُمْ
وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَذِرُ

٥ - التلميح: هو أن يشير المتكلم في كلامه لآية أو حديث، أو شعر مشهور، أو مثل سائر، أو قصة، كقوله:

لَعَمْرُؤُا مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَضِي
أَرْقُ وَأَخْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ

أشار إلى البيت المشهور، وهو:

المستجيرُ بعمرٍو عندَ كُرْبَتِهِ

كالمستجير من الرمضاء بالنار

٦ - حسن الابتداء: هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه عذب

اللفظ حسن السبك صحيح المعنى، فإذا اشتمل على

إشارة لطيفة إلى المقصود سمي براعة الاستهلال،

كقوله في تهنة بزوال مرض:

المجدُّ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرْمُ

وزالَ عنكَ إلى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ

وكقول الآخر في التهنة ببناء قصر:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامٌ

خَلَعَتْ عليه جَمَالُهَا الأيامُ

٧ - حسن التخلص: هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى

المقصود مع رعاية المناسبة بينهما، كقوله:

دَعَتْ النُّوى بفراقهم فَتَشَتَّتُوا

وَقَضَى الزَّمانُ بَيْنَهُمْ فتبدَّدُوا

دَهْرٌ ذَمِيمٌ الحالَتينِ فما به

شيءٌ سوى جُودِ ابنِ أَرْتَقٍ يُحَمَّدُ

٨ - براعة الطلب: هو أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح في نصب، كما في قوله:
وفي النفسِ حاجتٌ وفيك فطانةٌ

سكوني كلامٌ عندها وخطابُ

٩ - حسن الانتهاء: هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى، فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سمي برعةً منقطع، كقوله:

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ بِأَكْهَفِ أَهْلِهِ

وهذه دعاءٌ للبرية شاملٌ



تنبيه

ينبغي للمعلم أن يناقش تلامذته في مسائل كل مبحث شرحه لهم من هذا الكتاب ليتمكنوا من فهمه جيداً فإذا رأى منهم ذلك سألهم مسائل أخرى يمكنهم إدراكها مما فهموه

(أ) - كأن يسألهم بعد شرح الفصاحة والبلاغة وفهما عن أسباب خروج العبارات الآتية عنهما أو عن إحداها:

١ - رب جَفْنَةٍ مُثْعَنَجِرَةٍ، وطعنة مسحنفرة تبقى غداً بأنقرة،
أي: جفنة ملأى، وطعنة متسعة تبقى ببلد أنقرة.

٢ - الحمدُ لله العليُّ الأجلُّ^(١)

.....

٣ - أكلْتُ العرينَ وشربتُ الصُّمَادِحَ، تريد اللحم والماء
الخالص.

٤ - وازوَرَ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرٌ
وعافَ عَافِي العُرْفِ^(٢) عِرْفَانَهُ

(١) في (أ): الأجل.

(٢) في (أ) وعاف في العرف.

- ٥ - ألا ليت شعري هل يُلومَنَّ قومُهُ
زُهيراً على ما^(١) جرَّ من كُُلِّ جانبٍ
- ٦ - من يهتدي في الفعلِ ما لا يهتدي
في القولِ حتَّى يفعلَ الشعراءُ
أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول
حتى يفعل.
- ٧ - قَرَبَ مِنَّا فرأيناَهُ أَسْداً - تريدُ أبخَرَ^(٢) -.
- ٨ - يجب عليك أن تفعل كذا، تقوله بشدة مخاطباً لمن إذا
فعل عد فعله كرماً وفضلاً.
- (ب) - وكأن يسألهم بعد باب الخبر والإنشاء أن يجيبوا
عما يأتي:
- ١ - أمن الخبر أم الإنشاء قولك الكل أعظم من الجزء،
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُلُوبَنَا كَافَّةٌ مِثْلُ نَافِثَةٍ أَوْ نَذِيرَةٍ﴾ [القَصَص: ٧٦]؟.
- ٢ - ما وجه الإتيان بالخبر جملةً في قولك: الحق ظهر،
والغضب آخره ندم.

(١) في (أ): من.

(٢) فإن الوصف الخاص الذي اشتهر به الأسد هو الشجاعة، لا البخر، وإن كان من
أوصافه. (المؤلفون).

٣ - ما الذي يستفيده السامع من قولك: أنا معترف
بفضلك، أنت تقوم في السحر، رب إني لا أستطيع
اصطباراً؟.

٤ - من أي الأضرب قوله تعالى - حكاية عن رسل عيسى
:- ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِلَيْكَ
لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]؟.

٥ - [هل للمهتدي أن يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
[الفاتحة: ٦]]^(١)؟.

٦ - من أيّ: أنواع الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها
المستفادة من القرائن:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعنا يا جريرُ المجمعُ

اعمل ما بدا لك، لا ترجع عن غيِّك، لا أبالي أقعد أم قام،
﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبا: ١٧]، ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

ليت هندا أنجزتنا ما تعدُّ

وشفت أنفسنا مما تجدُ

(١) في (ب) ورد السؤال هكذا: (هل يلزم أن يكون ضالاً من يقول: اهدنا الصراط
المستقيم).

لو يأتينا فيحدثنا.

أُسْكَنَ العقيقِ كفى فراقاً

(ج) - وكأن يسألهم بعد الذكر والحذف:

عن دواعي الذكر في هذه الأمثلة:

﴿أَمَرَ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، الرئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمقابلتك - تخاطب غيباً -، الأمير نشر المعارف وأمن المخاوف، جواباً لمن سأل: ما فعل الأمير؟.

حضر السارق جواباً لقائل: هل حضر السارق؟، الجدار مشرف على السقوط، تقوله بعد سبق ذكره تنبيهاً لصاحبه.

فعباسٌ يَصُدُّ الخطبَ عنا

وعباسٌ يُحِيرُ مَنْ استجارا

تقوله في مقام المدح.

وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلة:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢] ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

[يُوسُف: ١٨]، منضجة الزروع ومصلحة الهواء، محتالٌ مرواغٌ
بعد ذكر إنسان.

أَمْ كَيْفَ يَنْطِقُ بِالْقَبِيحِ مُجَاهِرًا
والهَرُّ يُحَدِّثُ مَا يَشَاءُ فَيَذْفِنُ
(د) وكأن يسألهم عن دواعي التقديم والتأخير في هذه
الأمثلة:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدرُكُه

السفاح في دارك، إذا أقبل عليك الزمان نقترح عليك ما
نشاء، الإنسان جسم نام حساس ناطق، الله أسألُ أن يصلح
الأمْر، الدهر ملاً فؤادي شيباً^(١)، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
[الكافرون: ٦].

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا
شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ
وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

(١) في (أ): الدهر يودي شيباً، وفي (ب) الدهر قودي شيباً وتصويبه من نسخة مكتبة الآداب.

(هـ) - وكان يسألهم عن أغراض التعريف، والتنكير في هذه الأمثلة:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عباسٌ عباسٌ إذا احتدم الوغى

والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعٌ

قرأنا شعر أبي الطيب، وحبیب، ولم نقرأ شعر الوليد، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

هذا أبو الصّقر فرداً في محاسنه

من نسل شيبان بين الضّال والسمّر

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]، الذي خاط ملابس الأمير خاط هذا الثوب، أخذ ما أعطيته وسار، الرجل خير من المرأة، ﴿عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤].

اليومَ يستقبلُ الآمالَ راجيها.

لبث القوم ساعة وقضوا الساعة في الجدال، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، ادخل السوق، واشتر اللحم، زيد
الشجاع، علماء الدين أجمعوا على كذا^(١)، ركب وزراء
السلطان، هذا قريب اللص، أخو الوزير أرسل لي.

وإن شفائي عبرة مهراقة

.....

يابواب افتح^(٢) الباب، ويا حارس لا تبرح، ﴿وَجَاءَ
رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ [القَصص: ٢٠]، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾
[البقرة: ٧]، إن له لإبلاً، وإن له لغنماً، ما قدم من أحد.

ولله عندي جانبٌ لا أُضِيعُهُ

وللهو عندي والخلاعة جانبٌ

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرُّومَ عنهم

ويوماً بجودٍ يطرُدُ الفقرَ والجَدْبَا

﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] ﴿أَيْنَ لَنَا

لَأَجْرًا﴾ [الشعراء: ٤١]،

(١) في (أ): (على كذب) وهو خطأ فاحش.

(٢) في (أ): افتتح، وفي (ب): فتح.

(و) وكأن يسألهم بعد التشبيه، عن التشبيهات الآتية:

وقد لاح في الصُّبحِ الثُّرَيَّا لَمَن رَأَى
كَعُنُقُودٍ مُّلاحيّةٍ حينَ نَوْرًا
كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهُبِهَا
وَالْفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغْطِيهَا
زَنْجِيّةٌ شَبَّكَتْ أَنَامِلَهَا
مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ لِتُخْفِيهَا
وَكأَنَّ^(١) أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعاً
دُرَّرَ نُثْرَنَ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقِ
عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِباً
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّاقِبَاتِ أَقْوُلُ
ابْذُلْ فَإِنَّ الْمَالَ شَعْرٌ كَلَّمَا
أَوْسَعَتْهُ حَلَقاً يَزِيدُ نَبَاتَا
ولما بدا لي منك ميلٌ مَعَ الْعِدَا
عَلَيَّ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلُ

(١) في: (ب) كأنّ، بدون واو.

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِي تَطَاوَلَتْ
بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ
رُبَّ حَيٍّ كَمَيِّتٍ لَيْسَ فِيهِ
أَمَلٌ يُرْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٍّ
وِعِظَامٍ تَحْتَ التَّرَابِ وَفَوْقَ الْـ
أَرْضِ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ
كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غِيَمَةٍ
نَجَاةٌ مِنَ الْبَاسِ بَعْدَ وَقْعِ
(ز) وَكَأَنَّ يَسْأَلُهُمْ عَنِ الْمَحْسَنَاتِ الْبَدِيعَةِ فِيمَا يَأْتِي:
كَأَنَّ مَا كَانَ وَزَالَا
فَاطَّرِحَ قِيلاً وَقَالَا
أَيُّهَا الْمَعْرُضُ عَنَّا
حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى
لَيْتَ الْمَنِيَّةَ حَالَتْ دُونَ نَصِيحِكَ لِي
فِي سَتْرِخِ كَلَانَا مِنْ أَذَى التُّهَمِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ، ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].
خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ
فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

على رأسٍ حُرٍّ تاجٍ عزِّ يزينه
وفي رجلٍ عبدٍ قيدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ
نهبتَ مِنَ الأعمارِ ما لو حَوَيْتَهُ
لَهُنَّتِ الدنيا بِأَنَّكَ خَالِدٌ
واستوطنوا السرَّ مني وهو منزلُهُم
ولا أَقْوَهُ بِهِ يوماً لِغَيْرِهِم
مَنْ قاسَ جَدَواكَ يوماً
بالشُّخبِ أَخْطأَ مَذْحَكُ
الشُّخبِ تعطي وتبكي
وأنت تُعْطِي وتَضْحَكُ
أراؤُكُمْ ووُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ
في الحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ
تَجْلُو الدُّجَى والأُخْرِيَّاتُ رُجُومُ
إنما هَذِهِ الحَيَاةُ مَتَاعُ
والسَّفِيهُ الغَبِيُّ مَنْ يَضْطَفِيهَا
ما مَضَى فَاتٌ وَالْمَوْمَلُ غَيْبُ
ولكَ السَّاعَةُ التي أَنْتَ فيها

وَسَابِقُ أَيَّانَ وَجَّهْتَهُ
رَأَيْتَهُ يَا صَاحِ طَوْعِ الْيَدِ
فِي السَّبْقِ لِمَا لَمْ يَجِدْ مُشَبِّهًا
سَابَقَ أَفْكَارِي إِلَى الْمَقْصِدِ
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ
يَسْأَلُوا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ
عَاشِرِ النَّاسِ بِالْجَمِ—
لِـ [وَحَلَّ] ^(١) الْمَزَاحِمَ
وَتَيَقُّظُ وَقُلْ لِمَنْ
يَتَعَاظِي الْمِزَاحَ مَهْ
فَلَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي
وَلَا قَالُوا فُلَانٌ قَدْ رَشَانِي
أَيُّ شَيْءٍ أَطِيبَ مِنْ ابْتِسَامِ الثَّغُورِ، وَدَوَامِ السَّرُورِ،
وَبِكَاءِ الْغَمَامِ، وَنُوحِ الْحَمَامِ.
كَمَالِكَ تَحْتَ كَلَامِكَ.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [لَقْمَان: ٢٩].

(١) ساقطة من (أ).

يا خاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنِّهَا
شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا
أَبْكَتْ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ
مَدَحْتُ مَجْدَكَ وَالْإِخْلَاصُ مُلْتَزِمِي
فِيهِ وَحُسْنُ رَجَائِي فِيكَ مُخْتَتَمِي

ولا يصعب على المعلم اقتفاء هذا المنهج، والله الهادي
إلى طريق النجاح.



فهرس المحتويات

٥	مقدمة المحقق
١٣	خطبة الكتاب (مقدمة المؤلفين)
١٧	مقدمة في الفصاحة والبلاغة
١٧	الفصاحة
٢٠	البلاغة
٢٥	علم المعاني:
٢٧	الباب الأول في الخبر والإنشاء
٢٨	الكلام على الخبر
٣٠	الكلام على الإنشاء
٤١	الباب الثاني في الذكر والحذف
٤٥	الباب الثالث في التقديم والتأخير
٤٩	الباب الرابع في التعريف والتنكير
٥٧	الباب الخامس في الإطلاق والتقييد

٦٣	الباب السادس في القصر
٦٥	الباب السابع في الوصل والفصل
٦٩	الباب الثامن في الإيجاز والإطناب والمساواة
٧١	أقسام الإيجاز
٧١	أقسام الإطناب
٧٥	الخاتمة في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ...
٨٣	علم البيان:
٨٣	التشبيه
٨٥	المبحث الأول في أركان التشبيه
٨٧	المبحث الثاني في أقسام التشبيه
٩١	المبحث الثالث في أغراض التشبيه
٩٣	المجاز
٩٤	الاستعارة
٩٧	المجاز المرسل
٩٨	المجاز المركب
٩٩	المجاز العقلي
١٠٠	الكناية

دروس البلاغة

علم البديع :	١٠٥
محسنات معنوية	١٠٥
التورية	١٠٥
الإيهام	١٠٦
التوجيه	١٠٦
الطباق	١٠٧
المقابلة	١٠٧
التدبيج	١٠٧
الإدماج	١٠٧
الاستتباع	١٠٧
مراعاة النظر	١٠٨
الاستخدام	١٠٨
الاستطراد	١٠٩
الافتنان	١٠٩
الجمع	١١٠
التفريق	١١٠
التقسيم	١١١

الطي والنشر	١١١
إرسال المثل	١١٢
المبالغة	١١٢
المغايرة	١١٣
تأكيد المدح بما يشبه الذم	١١٤
تأكيد الذم بما يشبه المدح	١١٤
التجريد	١١٥
حسن التعليل	١١٥
ائتلاف اللفظ مع المعنى	١١٥
محسنات لفظية	١١٦
تشابه الأطراف	١١٦
الجناس	١١٦
التصدير	١١٨
السجع	١١٩
ما لا يستحيل بالانعكاس وهو القلب	١٢٠
العكس	١٢٠
التشريع	١٢٠

دروس البلاغة

المواربة	١٢١
اكتلاف اللفظ مع اللفظ	١٢١
خاتمة	١٢٣
سرقة الكلام	١٢٣
الاقتباس	١٢٥
التضمين	١٢٦
العقد والحل	١٢٧
التلميح	١٢٧
حسن الابتداء	١٢٨
حسن التخلص	١٢٨
براعة الطلب	١٢٩
حسن الانتهاء	١٢٩
تنبيه	١٣٠
فهرس المحتويات	١٤٣